

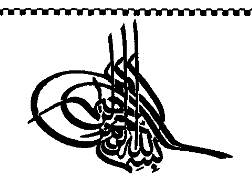

عبودية الكائنات

فى ضوء الأحاديث والآيات

كتبه

سيد عطـوة

رقم الإيداع : ٢٠٠٦/٩٦٣٦
الترقيم الدولي : I.S.B.N
977-290-320-2



مقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[آل عمر١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[النساء ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب ٧٠ : ٧١] .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كلام الله تعالى ، وإن خير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

ثم أما بعد ،

فإن أصل الدين ، وركن التوحيد ، وأساس الملة ، وقاعدة كل شئ فى هذا الوجود ؛ هو معرفة الله تعالى وعبادته وحده لا شريك له ، فقد تقرر عند ذوى العقول السليمة ، والفطر النقية المستقيمة : أن الله تعالى ما خلق الخلق سدىً ، وما تركهم هملاً ، بل خلق الخلق ليعبدوه وحده سبحانه وتعالى ، وما أرسل الله الرسل ، ولا أنزل الكتب ، ولا خلق الجنة والنار إلا لهذا الأمر العظيم : أن يفرد الله وحده بالعبادة والذل والحب كما قال تعالى : **﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون ﴾** [الذاريات : ٥٦] كذا قال تعالى **﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطاغوت ﴾** [النحل : ٣٦] وقال سبحانه وتعالى أيضاً : **﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا**

مِـــن قَـــبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْـــبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥] ولا يخلو قلب من عبودية . فمن لم يعبد الله عبد غيره ولابد ، فإما أن يعبد أصناماً وأنداداً وطواغيت أو هواه أو غير ذلك وإما أن يعبد رب العالمين وخالق الخلق أجمعين ، فإذا تقرر فى العقول أن الله وحده هو الذى خلق كل الخلق ؛ إذ لم يدع أحدٌ من الناس أبداً أنه خلق السماوات والأرض ، بل إن مشركى قريش كانوا يعلمون أن الذى خلقهم وخلق السماوات والأرض هو الله وحده ، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّـــنْ خَلَـــقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خلقهن العزيز العليم ﴾ [الزخرف: ٩] .

وإذا تقرر كذلك أنه وحده الذى يملك النفع والضرر والإماتة والإحياء ، وتدبير أمر كل شئ فى هذا الكون .

إذا تقرر ذلك فإنه يجب أن تذعن العقول والقلوب بالعبودية لله رب العالمين الذى إليه المرجع والمآب ، وألا تُصرف أى عبادة عن العبادات لغير الله ؛ إذ إن هذا يكون ظلماً عظيماً ، بل هو أشد الظلم أن ينزل الإنسان نفسه منزلة لا تليق به كيف يترك عبادة من خلقه ثُمَّ يعبد مخلوقاً لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً؟! .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : لن تصح لك عبودية ما دام لغير الله فيك بقية ، وقال كذلك : من أراد السعادة الأبدية فليلزم عتبة العبودية .

وكلما ازداد إيمان العبد بربه ازداد خوفه من الله وحبه لله ، وخرج خوف الأنداد وحبها من قلبه ، وسلم قلبه لربه وحده .

ولقد أقام ربنا سبحانه وتعالى الأدلة على وحدانيته فى

كتابه المنزل ، وكذلك كتابه المنظور المتمثل فى بديع صنعه وعظيم خلقه ، ولقد شهدت كل الكائنات بوحدانية رب الأرض والسماوات ، وسجدت لله ، وسبحت بحمده ، وشهد الكون كله من عرشه إلى فرشه ومن سمائه إلى أرضه ، صامته وناطقه ، ساكنه ومتحركه بوحدانية الملك العزيز الجبار ، حتى الجبال الصم الصلاب ، وحتى الحجارة الصلدة القاسية خشعت لربها وفاطرها جل جلاله ، وجاءت هذه الرسالة توضيحاً لهذا المعنى ، وإيقاظاً للقلوب الغافلة ، ومحاولةً لصدع العناد فى القلوب الجاحدة ، وزيادةً لليقين فى القلوب المؤمنة الموحدة ، ونداء لكل من يحترم عقله ، وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

لنقول للجميع بلسان حال كلامنا ﴿ **اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم**

مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَــه مِنَ اللَّهِ ﴾ .

فلا تضيع وقتك وعمرك فى الانشغال عن عبادة الله والقيام بأمره ، فكل دقيقة عشتها بعيداً عن صراط الله فهى حسرة عليك ، فأيقظ قلبك من رقدة الغافلين ، وأحيى نفسك من سبات النائمين ، وكن لله كما يريد يكن لك مثلما تريد ، وأكثر من ذكر ربك وطاعته . ولا تكن العجماوات أعبد لله منك ، ولا تكن الحجارة أرق من قلبك ، ولا تكن الجبال أخشع لربها منك ، هيا ابذل كل حبك لربك ، وثق بالذى خلقك من عدم ، وتوكل على من يعلم السر وأخفى ، واحفظ الله يحفظك ، وإذا أقبلت إلى الله أقبل الله إليك وفرح بتوبتك إليه هيا : عرف الناس بربك فوالله لو عرفوه لأحبوه ولو أحبوه لهداهم ، وانشر سنة نبيك ينضر الله وجهك .

وأسأل الله عز وجل أن ينفع بهذا الكلام ، وألا يجعل حظه النسيان ، وأن يجعله مباركاً خالصاً لوجهه الكريم . وأنا سائلٌ كُلَّ أخ نظر فيه ألا يبخل عليّ بدعوة بظهر الغيب ، هذا .

وإن كنت قد أصبت ؛ فالحمد لله فمنه الفضل والإحسان ، وإن كانت الأخرى فأسأل الله العفو والغفران .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين .

وكتبه
سيد عطوة
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين
يوم الأحد ٢١ مارس سنة ٢٠٠٤ م
٣٠ من محرم سنة ١٤٢٤ هـ

* * * * *

أولاً : عبودية الجبال لربها

إن هـذه الجـبال الصـم الصـلاب الجوامـد تعـبد الله ، وتسـجد لـه ، وتسبح بحمده ، وتخضـع لأمره ، وتخشع عند ذكره ، وتحب المؤمنين ؛ لأنها خلق من خلق الله ، وقد امتن الله على عبده ورسوله داود بنعمة عظيمة وهى أن جعـل الله - عـز وجـل - الجـبال تسـبح معـه فـى أول النهار وآخره فيقول ربنا - تبارك وتعالى وتقدس : ﴿ **إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ * وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَـهُ أَوَّابٌ** ﴾ [ص: ١٩ ، ١٨] .

يالـه مـن مشـهد مـا أروعـه ! الجبال تسـبح مـع نبى الله داود وتـرجع معـه ذلـك التسبيح كما أمرها ربها وفاطرها جل وعلا ﴿ **يَـا جِـبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَـهُ الْحَدِيدَ** ﴾ [سبأ : ١٠]

إنه مشهد يملأ القلب بالجلال والرهبة ، إنه مشهد يحدث فى النفس خشوعاً وخضوعاً لله رب العالمين ، فهذه الجبال الراسيات ، الخُرس الشامخات ، وتلك الطيور الغاديات الرائحات ، تسمع صوت نبى الله فتُجِيبُه بأنواع اللغات ، وتسبح بحمد من خلقها وفطرها وأنطقها بتلك الأصوات ، فسبحان من له الملك كله ، وله الجبروت كله ، وله الحكم كله !!

وهذا جبل يحب المؤمنين ويحبه المؤمنون فعن أبى حميد قال : أقبلنا مع النبى ﷺ من غزوة تبوك ، حتى إذا أشرفنا على المدينة قال : «**هــذه طابة، وهذا أحد جبل، يحبنا ونحبه**»[1] ، بل ويخاطبه النبى ﷺ خطاب من يعقل ويفهم فعن أنس بن مالك - رضى الله عنه قال : صعد النبى ﷺ

---

(١) رواه البخارى ٤٤٢٢ .

أُحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ، فرجف بهم ، فضربه برجله وقال : «**اثبت أحد، فما عليك إلا نبى وصديق وشهيدان**»[١] ، وانظر كيف يخشع الجبل ويتدهده لعظمة الله جل جلاله ، فعندما طلب نبى الله موسى الكليم الكريم من ربه - عز وجل - الرؤية وقال : ﴿ **رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ** ﴾ فأعلمه الله سبحانه وتعالى بأنه لن يطيق ذلك فى دار الدنيا[٢] ؛ لأن جلال الله وعظمة الله أكبر من أن تدرك بتلك الحواس فى الدنيا ، ومع ذلك أراه الله آية على ذلك قال تعالى : ﴿ **لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ**

---

(١) رواه البخارى برقم ٣٦٨٦ .

(٢) من المعلوم أن رؤية الله غير ممكنة فى الدنيا لكنها ثابتة فى الآخرة للمؤمنين ، بل إنها أعظم نعيم أهل الجنة قال تعالى : ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ وقال تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ والأدلة على هذا كثيرة نسأل الله أن يرزقنا لذة النظر إلى وجهه الكريم .

تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣] قال السعدى رحمه الله: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ أى انهال مثل الرمل انزعاجاً من رؤية الله ، وعدم ثبوته لها ﴿ وَخَرَّ موسَى صَعِقًا ﴾ أى حين رأى ما رأى فتبين له حينئذ أنه إذا لم يثبت الجبل لرؤية الله فموسى أولى ألا يثبت لذلك[1] فاستغفر موسى ربه ونزهه وعظمه عما لا يليق به سبحانه وقال: ﴿ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

بل إن الجبل يخشع ، ويتصدع من ذكر الله وسماع كلامه جل جلاله ، قال تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن .

الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر: ٢١]
فإذا كان الجبل لو فهم القرآن لخشع وتصدع من خشية الله فكيف بك أنت أيها الإنسان وقد فهمت عن الله أمره؟! وأخبرنا ربنا - عز وجل - بأن الجبال تسجد له .
فقال سبحانه وتعالى: **﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾** [الحج: ١٨] فإذا كانت الجبال تسجد لله وتسبح بحمد الله ، فما لنا نتعامى عن طاعة الله؟! إذا كانت صخور الجبال ، ورمالها ، وحصاها تسجد لله ؛ فما لهؤلاء الغافلين لا يسجدون؟! سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

* * * * *

ثانياً : عبودية الحجارة

وكذلك هذه الحجارة الصلدة الصلبة الجامدة تسبح بحمد الله ، وتذعن لأمره ، بل وتخر هابطة من خشيته قال الله تعالى : ﴿ **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾ [البقرة : ٧٤] فسبحان من يجعل فى تلك الحجارة هذا الخشوع وذاك الخضوع وهذا الإدراك ، وهذا حجر من الأحجار يعرف النبى المختار ، بل ويُسلم على رسول الله بلسان فصيح ، قال رسول الله ﷺ : «**إنى لأعرف حجراً كان يُسَلِّمُ على قبل أن أُبْعثَ إنى لأعرفه**

الآن»[1] وورد في صفة الحجر الأسود أن النبي ﷺ قال: **«إنه يشهد لمن استلمه يوم القيامة»**[2]

بل إن الحجارة تلبي مع الملبين كما أخبر بذلك سيد النبين ﷺ فقال: **«ما من ملب يلبي إلا لبى ما عن يمينه وشماله من حجر، أو شجر، أو مدر، حتى تنقطع الأرض من ها هنا وها هنا»**[3].

بل يتحرك الحجر ويسير، ولا يتوقف عن ذاك المسير إلا بعد إذن الملك القدير، لكي يقوم ذلك الحجر بوظيفة محددة كريمة تأمل قول النبي ﷺ: **«إن موسى– عليه السلام – كان رجلاً حيياً ستيراً، لا يُرى من جلده شيء استحياء منه فآذاه من آذاه من بني اسرائيل فقالوا:**

---

(١) رواه مسلم ٢٢٧٧، الترمذي ٥/ ٣٦٢٤.
(٢) رواه أحمد ١/٢٢٦.
(٣) رواه الترمذي، والبيهقي، والحاكم، وابن ماجة، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٧٧٠، والمشكاة ٢٥٥٠.

مـــا يتستر هذا التستر إلا من عيب فى جلده، إما برص وإما أدرة[١] وإما آفة، وإن الله عز وجل أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى عليه السلام، فخلا يوماً وحده فوضع ثيابه عـــلى الحجـــر، ثم اغتســـل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه لـــيأخذها، وإن الحجـــر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول: ثوبى حجر!... ثوبى حجر! حتى انتهى إلى ملأ من بنى إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن مـــا خلق الله وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبه فلبســـه، وطفق بالحجر ضرباً بعصاه، فوالله إن بالحجر لـــندباً مـــن أثـــر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً، فذلك قولـــــه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَـــى فَـــبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾

---

(١) الأدرة: عيب فى الخصية وهو ضخامتها.

[الأحزاب: ٦٩](١)» فمن ذا الذى أمر الحجر أن يمضى مسرعاً بثوب موسى؟! ومن ذا الذى أمره أن يتوقف بعدما رأى بنو إسرائيل موسى؟! إن الحجر ما استجاب وما ائتمر إلا بأمر الله جل جلاله ؛ لأنه خلق من خلق الله مسخر بتسخير الله له .

* * * * *

(١) رواه البخارى ٣٤٠٤ .

ثالثا : السماوات والأرض

وهذه السموات التى تظلنا وتحيط بنا ، وتلك الأرض التى تقلنا تسبح كُلُّها بحمد الله وتسجد له ، هذا الخلق العظيم الذى هو أكبر من خلق الناس يسبح بحمد الملك العلى الأعلى سبحانه ، قال الله تعالى: ﴿ **تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا** ﴾ [الإسراء: ٤٤] قال الحافظ ابن كثير: "تقدسه السموات السبع والأرض ومن فيهن أى من المخلوقات ، وتنزهه وتعظمه وتبجله وتكبره عما يقول هؤلاء المشركون ، وتشهد له بالوحدانية فى ألوهيته وربوبيته ، ففى كل شئ له آية تدل على أنه واحد .

كما قال تعالى: ﴿ **تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ**

وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴾ [مريم: ٩٠ ، ٩١] وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم أى وما من شئ من هذه المخلوقات إلا يسبح بحمد الله ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم أيها الناس ، لأنه بخلاف لغاتهم ، وهذا عام فى الحيوانات والجمادات والنباتات ﴿ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ ، أى أنه لا يعاجل من عصاه بالعقوبة ، بل يؤجله وينظره ، فإن استمر على كفره وعناده أخذه أخذ عزيز مقتدر كما جاء فى الصحيحين(١) إن الله ليمالى للظالم حتى إذا أخذه كم يفلته ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ ﴾ [هود: ١٠٢] وتذعن السماوات والأرض بالعبودية والطاعة لله عز وجل كما قال الله: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى

(١) أخرجه البخارى (٤٦٨٦) .

السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [فصلت: ١١] والأرض خلق من خلق الله تكره الكافرين وتبغضهم، وهذا كافر مَجْته الأرض من بطنها مجاً، ودفعته دفعاً فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: كان رجل نصرانياً فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران، فكان يكتب للنبى ﷺ، فعاد نصرانياً، فكان يقول: ما يدرى محمد إلا ما كتبت له، فأماته الله، فدفنوه، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه، لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألقوه خارج القبر، فحفروا له فأعمقوا؛ فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فالقوه خارج القبر، فحفروا له؛ وأعمقوا له فى الأرض ما استطاعوا، فأصبح قد لفظته الأرض،

فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه[1] هذا الفاجر الكافر لا مكان له فى جوف أرض تسبح بحمد الله ، هذا الذى افترى كذباً على رسول الله ، وارتد بعد إسلامه لا وزن له فى عالم الأحياء ، لا قيمة له فى دنيا الإنسانية ، بل الأليق به أن تترك جيفته ليشمئز كل ناظر إليها ، ويتأفف منها كل من مر بها ، فقد حرم ذلك المخذول أدنى تكريم للميت ، وأعلنت تلك الأرض عبوديتها لله بدفع ذلك الخبث من ثناياها وطرد ذلك النجس من خلالها .

وعندما تمرد قوم نوح عليه السلام وعصوا ربهم وكفروا به وطغوا طغيانا كبيراً دعا نوح ربه : ﴿ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴾ فماذا كان؟ ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ

(١) رواه البخارى مسلم

قَــدْ قُدِرَ ﴾ [القمر: ١١ - ١٢] وبعد إغراق الكافرين ، وانتقام الله من الظالمين ؛ قال رب العالمين: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِــي مَــاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء ﴾ [هود: ٤٤] إنها عبودية كاملة من الأرض والسماء لرب العزة جل جلاله . وها هى الأرض تقوم بما يأمرها الله به إذ تبتلع ساق فرس أراد راكبه أن يقتل إمام الهدى وسيد العالمين محمداً ﷺ ففى رحلة الهجرة المباركة أراد سراقة بن مالك أن يقتل رسول الله ﷺ وصاحبه رضى الله عنه فسار بفرسه ، ولما رآهما وسمع قراءة رسول الله ، وأراد بهما الشر حدث ما يلى يقول سراقة : "حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفاف ساخت يدا فرسى فى الأرض حتى بلغتا الركبتين فخررتُ عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها ، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عُثان

ساطع فى السماء مثل الدخان[١] .

قال ابن حجر رحمه الله : وفى رواية أبى خليفة "فساخت فى الأرض إلى بطنها" ، والحادثة مشهورة لكن الشاهد منها ابتلاع الأرض لقوائم تلك الفرس .

أيها الحبيب ، أتصدق أن السماء تبكى؟! أتصدق أن الأرض تبكى؟! وإذا بكت السماء والأرض فعلام تبكيان؟! تأمل قول الله جل جلاله بعد إهلاكه لفرعون وجنوده : ﴿ **فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ** ﴾ [الدخان : ٢٩] قال الحافظ ابن كثير عليه رحمة الله : أى لم تكن لهم أعمال صالحة تصعد فى أبواب السماء فتبكى على فقدهم ، ولا لهم فى الأرض بقاع عبدوا الله تعالى فيها فقدتهم فلهذا استحقوا

---

(١) رواه البخارى برقم ٣٩٠٦ .

ألا يـنظروا ولا يؤخـروا لكفـرهم وإجـرامهم وعـتوهم وعـنادهم وروى ابـن جرير عـن سعيد بن جبير قال: أتى ابـن عباس رضـى الله عنهما رجل فقال: يا أبا العباس ، أرأيت قـول الله تعـالى ﴿ فَمَـا بَكَـتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالأَرْضُ وَمَـا كَـانُوا مُـنظَرِينَ ﴾ فهـل تبكى السماء والأرض على أحد؟

فقال رضى الله عنه: نعم إنه ليس أحد من الخلائق إلا ولـه بـاب فـى السـماء مـنه ينزل رزقه وفيه يصعد عمله ، فـإذا مـات المؤمـن فأغلق بابه من السماء الذى كان يصعد فـيه عملـه ويـنزل مـنه رزقـه ، فقـده بكـى عليـه وإذا فقـد مصـلاه مـن الأرض الـتى كـان يصـلى فـيها ويذكر الله عز وجـل فيها بكت عليه ، وإن قوم فرعون لم تكن لهم فى الأرض آثـار صـالحة ولم يصـعد إلى الله عـز وجـل مـنهم

خير ، فلم تبك عليهم السماء والأرض ، وروى العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما نحو هذا . أهـ فإذا كانت السماء التى تحيط بنا من فوقنا تسجد لربها وتعبده ، وإذا كانت الأرض التى تحيط بنا من تحتنا تسجد لربها وتعبده وتوحده ، فما أغبى مخلوق يعيش بينهما يشرك بربه ويسجد لمخلوق ويعظمه! وما أغفل الخاسرين الذين أضاعوا أعمارهم فى اللهو واللعب والتيه متى يفيقون؟! ومتى ينتبهون؟! ومتى يتعظون؟! لعلهم إذا ماتوا ينتبهون لكن فى ساعة لا ينفع فيها عمل ولا يقبل فيها توبة ، وليس ثمة إلا جنة أو نار نسأل الله الجنة بفضله ورحمته إنه هو الغفور الرحيم .

وفى حديث قاتل المائة عندما قال له العالم : انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله

معهم ، ولا ترجع لأرضك فإنها أرض سوء فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فأوحى الله إلى هذه أن تباعدى وإلى هذه أن تقربى وقال قيسوا بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فغُفِر له[1] .

وقال ﷺ: «**خرج رجل ممن كان قبلكم فى حلة له يختال فيها، فأمر الله الأرض فأخذته فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة**» رواه البخارى ومسلم وأحمد والترمذى .

* * * * *

---

(١) رواه البخارى ٣٤٧٠ ، مسلم ٢٧٦٦ .

رابعاً : الشمس والقمر والنجوم

فكلها مصطبغ بصبغة العبودية لله عز وجل ﴿ **الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ** ﴾ [الرحمن] أى يجريان بحساب دقيق ، ﴿ **لاَ الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴾ [يس : ٤٠] إن ذلك التعاقب العجيب والانتظام الدقيق من هذين المخلوقين ليدل على عظمة الملك عز وجل ، وهذه الشمس وذاك القمر يسجدان لله كما سبق فى آية الحج ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ** ﴾ الآية وفى الصحيحين عن أبى ذر رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال له حين غربت الشمس : «**أتدرى أين تذهب؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: إنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن**

فيؤذن لها، فيقال لها: ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قولــه تعالى: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [يس٣٨][١]» .

وكذلـك هـذه الـنجوم الـتى جعـلها الله زيـنة للسـماء الدنـيا وحفظـاً لهـا ، وجعـلها الله مذللـة مسـخرة لعـباده يهتدون بها فى الظلماء: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْـــتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ [الأنعـام: ٩٧] وهـذه الـنجوم تسـجد لله كمـا سبق فى آية الحج ، وهذه الــنجوم تتــناثر ويذهــب ضــوؤها يــوم القــيامة قــال تعالى: ﴿ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴾ [التكوير: ٢]

وقال تعالى ﴿ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴾ [الانفطار: ٢] .

قـال أبى بن كعب: ست آيات قبل يوم القيامة بينا الناس

---

(١) رواه البخارى ٣١٩٩ .

فى أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم ، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض ، فتحركت واضطربت واختلطت ففزعت الجن إلى الإنس والإنس إلى الجن ، واختلطت الدواب والطير والوحوش فماجوا بعضهم فى بعض ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ قال: اختلطت ﴿ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾ قال: أهملها أهلها ، ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ قال: قالت الجن: نحن نأتيكم بالخبر قال: فانطلقوا إلى البحر فإذا هو نار تتأجج ، قال: فبينما هم كذلك إذا تصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى وإلى السماء السابعة العليا قال: فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم[1] .

---

(١) رواه ابن جرير نقلاً من تفسير ابن كثير وصححه الشيخ مصطفى العدوى فى التسهيل (سورة التكوير) .

ومن معجزات - نبينا ﷺ انشقاق القمر وذاك القمر لا ينشق من تلقاء نفسه بل بوحى من عند عليم حكيم قال الله جل جلاله ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [القمر: ١] وفى الصحيحين عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما[١] وفى رواية عن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال: بينا نحن مع رسول الله بمنى إذا انفلق القمر فلقتين فكانت فلقة وراء الجبل ، وفلقة دونه ، فقال لنا رسول الله ﷺ : «**اشهدوا**»[٢] .

فالقمر مأمور يأتمر بأمر الله الذى خلقه وفطره وكذلك الشمس مأمورة ففى الصحيحين عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال رسول الله ﷺ: «**غـــزا نبى من الأنبياء -**

---

(١) البخارى ٤٨٦٥ ، مسلم ٢٨٠٠ .
(٢) البخارى ٤٨٦٤ ، مسلم ٢٨٠٢ .

صلوات الله وسلامه عليهم – فقال لقومه لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبنى بها ، ولما يبن بها ولا أحد بنى بيوتاً لم يرفع سقوفها ، ولا أحداً اشترى غنماً أو خلفات وهو ينتظر أولادها، فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريباً من ذلك ، فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علينا، فحُبست حتى فتح الله عليه»[1] الحديث ، فهذا النبى الكريم يعلم أن الشمس مأمورة مثله ويعلم أن الله – تبارك وتعالى – هو الذى يسيرها فى كبد السماء ؛ لذا يتوجه إلى الله تعالى بالدعاء ليحبس الشمس عليهم ؛ لكى يتم فتحه فيستجيب الله دعاءه وتحبس الشمس حتى يفتح الله عليه .

* * * * *

(١) رواه البخارى ٣١٢٤ ، مسلم ١٧٤٧ .

خامساً : الشجر والنبات

وهذا الشجر وذاك النبات يذعن هو الآخر بالعبودية لرب الأرض والسموات ، الشجر يسجد ويسبح ، ويشتاق إلى سماع ذكر الله ، بل وينطق بالحق والتوحيد قال تعالى : ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ [الرحمن : ٦] . وللعلماء فى تفسير كلمة النجم وجهان الأول : هو النبات المنبسط على وجه الأرض أى الذى ليس له ساق وهو ما نجم من الأرض من حشيش وغيره ، والقول الثانى : هو النجم الذى فى السماء أى النجوم كلها والأشجار كلها تسجد لله عز وجل واختار القول الثانى الحافظ ابن كثير عليه - رحمة الله - وعلى كلٍّ فالآية تثبت سجود الشجر لله عز وجل وقد سبق ذكر آية الحج التى قال الله فيها : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي

السَّـــمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ﴾ .

وقد أنطق الله الشجر لرسوله ﷺ فقد أخبرت شجرة رسول الله بأن الجن قد استمعوا إليه فقد روى البخارى عن معن بن عبد الرحمن قال : سمعت أبى قال : سألت مسروقاً : من آذن النبى ﷺ بالجن ليلة استمعوا القرآن؟ فقال : حدثنى أبوك يعنى ابن مسعود - أنه آذنت به شجرة[١] .

ويدل على أن الشجر يسجد أيضاً ما ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : جاء رجل فقال : يا رسول الله ، رأيتنى الليلة وأنا نائم كأنى أصلى خلف شجرة

---

(١) رواه البخارى .

فسجدت فسجدت الشجرة لسجودى فسمعتها وهى تقول: اللهم اكتب لى بها أجراً ، وضع عنى بها وزراً ، واجعلها لى عندك ذخراً ، وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود ، قال ابن عباس فقرأ رسول الله ﷺ سجدة ثم سجد فسمعته وهو يقول مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة[١] .

وجذع النخلة يحن إلى رسول الله ويشتاق إلى سماع الذكر ويبكى الجذع حزناً على أنه حرم وقوف رسول الله إليه يوم الجمعة ، سبحان الله ، خشبة تحن وتشتاق وتبكى وتحزن! .

عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة ، فقالت امرأة من الأنصار أو

---

(١) رواه الترمذى وابن ماجة وصححه الألبانى فى صحيح ابن ماجة .

رجل[١]: ألا نجعل لك منبراً؟ قال: إن شئتم فجعلوا له منبراً فلما كان يوم الجمعة دُفِع إلى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبى ، ثم نزل النبى ﷺ فضمه إليه ، يئن أنين الصبى الذى يُسَكَّن قال: كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذكر عندها ، وفى رواية عن جابر أيضاً رضى الله عنه قال: «**كان المسجد مسقوفاً على جذع من نخل، فكان النبى ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها فلما صنع له المنبر فكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار[٢]، حتى جاء النبى ﷺ فوضع يده عليها فسكنت**»[٣] .

وكان الحسن البصرى إذا حدث بهذا الحديث يقول:

---

(١) قال ابن حجر: الشك من الرواى والمعتمد الأول .
(٢) صوت العشار: العشار جمع عشراء وهى الناقة التى انتهت فى حملها إلى عشرة أشهر .
(٣) رواه البخارى رقم ٣٥٨٤ ، ٣٥٨٥ .

يا معشر المسلمين ، الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقاً إلى لقائه فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه .

قال البيهقى : قصة حنين الجذع من الأمور الظاهرة التى حملها الخلف عن السلف ، وفى الحديث دلالة على أن الجمادات قد يخلق الله لها إدراكاً كالحيوان ، بل كأشرف الحيوانات ، وفيه تأييد لمن يحمل "وإن من شئ إلا يسبح بحمده" على ظاهره . عن عمرو بن سواد عن الشافعى قال : ما أعطى الله نبياً ما أعطى محمداً ، فقلت : أعطى عيسى إحياء الموتى ، فقال : أعطى محمداً حنين الجذع حتى سمع صوته فهذا أكبر من ذلك .

والشجر يدرك نداء رسول الله ﷺ ويستجيب لدعائه عبودية الله جل جلاله ، وطاعة لأمره سبحانه ، فما يتحرك ذلك الشجر أو ينطق ذاك الحجر إلا بأمر الله عز

وجل . عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : أتى النبى ﷺ رجل من بنى عامر فقال : يا رسول الله أرنى الخاتم الذى بين كتفيك فإنى من أطب الناس . فقال له رسول الله : ألا أريك آية قال : بلى ، قال فنظر إلى نخلة فقال : ادع ذلك العذق . قال : فدعاه فجاء يفقر حتى قام بين يديه فقال له رسول الله ﷺ : "ارجع" فرجع إلى مكانه فقال العامرى : يا آل بنى عامر ما رأيت كاليوم رجلاً أسحر[١] أى سحر من هذا .

فهذا الشجر الذى يملأ الأرض ما يتحرك حركة يمنة ولا يسرة إلا بتقدير من الله عز وجل ولا تسقط ورقة إلا يعلمها العليم الخبير جل وعلا قال تعالى ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا

---

(١) رواه أحمد وصححه شيخنا العدوى حفظه الله .

تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩]

وفى صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا واديا أفيح فذهب رسول الله ﷺ يقضى حاجته فاتبعته بإداوة من ماء، فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئاً يستتر به فإذا شجرتان بشاطئ الوادى فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال: انقادى علىَّ بإذن الله؛ فانقادت معه كالبعير المخشوش الذى يصانع قائد، حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها فقال: انقادى على بإذن الله؛ فانقادت معه كذلك، حتى إذا كان بالمنصف مما بينهما لأم بينهما (يعنى جمعهما) فقال: "**التئماعلى بإذن الله**" فالتأمتا قال

جابر : فخرجت أحضر مخافة أن يحس رسول الله ﷺ بقربي فيبتعد ، فجلست أحدث نفسي فحانت مني لفتة ، فإذا أنا برسول الله ﷺ مقبلاً وإذا الشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق[1] الحديث .

فالشجرة تنقاد مع رسول الله بإذن الله وتلتئم كلتا الشجرتين عليه بأمر الله فسبحان الله وبحمده .

* * * * *

---

(١) رواه مسلم برقم ٣٠١٢ ، ومعنى أفيح : أي واسع ، شاطئ الوادي: يعني جانبه ، البعير المخشوش : الذي جعل في أنفه خشاشا ليسهل انقياده ، لأم : يعني جمع ، أحضر : يعني أعدو وأسعى سعيا شديدا

سادساً: الدواب

فكل مادب على الأرض ومشى عليها يسبح بحمد الله جل وعلا قال تعالى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ١] وفى آية الحج قال عز وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [الحج: ١٨].

فهذه الدواب كلها على اختلاف أنواعها وأجناسها وأشكالها تسجد لله عز وجل وتذكره جل جلاله قال رسول الله ﷺ: «رُبَّ مركوبة خير من راكبها وأكثر

ذكراً لله تعالى منه»[1] فهذه الدواب التى لا تعقل خير من كثير من الكافرين ، خير من كثير من الفاجرين الغافلين السادرين الضالين الذين فضلهم الله بالعقل فأبوا إلا أن يعطلوه ، وفضلهم الله بالفهم فأبوا إلا أن يمحوه واختاروا عبودية مخلوق حقير أو عبدوا الشيطان الرجيم أو عبدوا أوثاناً وحجارة ، وربما عبدوا أنفسهم وهم لا يشعرون وتركوا العبودية لله الملك العزيز الجبار عز وجل .

إن هذه الدواب التى لا تعقل تخاف عذاب الله ، وتخشع لربها وتخشاه ، وما من يوم جمعة إلا وهى وجلة حذرة مشفقة أن تقوم الساعة قال رسول الله ﷺ: **«ما من دابة إلا وهى مصيخة يوم الجمعة خشية أن تقوم الساعة»**[2] .

---

(١) رواه أحمد ٣/٤٣٩ وصححه الألبانى .
(٢) رواه مالك ، وأبو داود والترمذى وقال حسن صحيح

ومن هذه الدواب من يدعوا الله بكرة عند كل صباح فعن أبى ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنه ليس من فرس عربى إلا يؤذن له مع كل فجر يدعو بدعوتين: اللهم إنك خولتنى من خولتنى من بنى آدم، فاجعلنى من أحب أهله وماله إليه**»[1] فهذا الحيوان البهيم يدعوا الله عند كل فجر ومن عقلاء البشر من يقوم من نومه فلا يذكر ربه ولا يصلى لربه بل لا هم له إلا الطعام والشراب ، والمسارعة إلى عمل دنيوى هزيل ، ويترك العمل الذى خلق من أجله قال النبى ﷺ: «**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد عليك ليل طويل فارقد، فإذا استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإذا توضأ انحلت الثانية فإذا صلى انحلت كل**

وصححه الألبانى .

(١) رواه أحمد ، والنسائى ، والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع ٢٤١٤ .

عقـــده فأصـــبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان» [١] .

وهـذه ناقـة النـبى ﷺ والـتى كانـت تسـمى القصـواء لما سـار النبى ﷺ يوم الحديبية بركت به راحلته فقال الناس : حـل حـل فألحـت ، فقـالوا : خـلأت القصواء فقال النبى ﷺ : «**مـــا خـــلأت القصـــواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبســـها حابس الفيل**» ثـم قـال : «**والذى نفس بيده لا يســـألوننى خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياهـــا، ثم زجـــرها فوثبت**» [٢] إن هذه الناقة مأمورة بأن تـتوقف فـى هـذا المكـان وتمتـنع عـن دخـول مكة كما امتنع فـيل أبـرهة الحبشـى عـن دخولهـا ؛ لكـى يمضـى الله أمـره ويفـتح علـى نبـيه مكة بهذا الصلح الذى عقد فى الحديبية

---

(١) أخرجه البخارى (١١٤٢) .
(٢) رواه البخارى ٢٧٣١ .

بين النبى ﷺ وبين قريش حيث أنزل الله عقب هذا الصلح سورة الفتح . فتأمل كيف يرد النبى ﷺ عن هذه الناقة ويقول بأنها ما خلأت أى ما أصابها الحِران الذى يصيب الخيل وليس هذا خلقاً لها .

وقد كان النبى ﷺ وصحابته يطلقون أسماء على دوابهم فهذه ناقة النبى ﷺ القصواء وذاك حمار اسمه عفير ورد ذكره فى حديث معاذ رضى الله عنه قال كنت رديف النبى ﷺ على حمار يقال له عفير ، فقال يا معاذ : هل تدرى ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله؟

قلت : الله ورسوله أعلم قال : فإن حق العباد على الله أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً ، فقلت : يا رسول الله ،

أفلا أُبَشِّر الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلوا![1] ، وكان للنبى ﷺ فرساً يقال له: اللُّحيف"[2] ، وكان لأبى طلحة رضى الله عنه فرساً يقال له مندوب قال أنس بن مالك: كان فزع بالمدينة ، فاستعار النبى ﷺ فرساً لنا يقال له: مندوب فقال: ما رأينا من فزع ، وإن وجدناه لبحراً"[3] ومعنى إن وجدناه لبحراً أى الفرس وجدنا أنه واسع الخطى سريعاً فى عدوه ، وكان لأبى قتادة رضى الله عنه فرساً يقال لها الجرادة[4] فهذا يدل على مشروعية تسمية الدواب بأسماء تخصها غير أسماء أجناسها كما قال ابن حجر رحمه الله .

---

(١) رواه البخارى برقم٢٨٥٦ .
(٢) رواه البخارى٢٨٥٥ وقال ابن حجر قال: الهروى: سمى بذلك لطول ذنبه ، فعيل بمعنى فاعل وكأنه يلحف الأرض بذنبه .
(٣) رواه البخارى٢٨٥٧ .
(٤) رواه البخارى٢٨٥٤ .

وإن تعجب من عبودية الدواب لربها فعجبٌ أمر ذلك الحيوان الذى يقيم حدود الله ونُهدى ذلك الأثر لمن عَطَّلوا أحكام الله واستبدلوا بها قوانين البشر ، وحكموا فى الأموال والأعراض والدماء حكماً غير حكم الله وتشريعاً غير تشريع العليم الخبير عز وجل ، واستبدلوا بالبعير بعراً وبالثريا ثرى ، وبالرحيق المختوم ناراً وحريقاً ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾ [المائدة : ٥٠] .

وهذا هو الأثر الذى نريد سوقه عن عمرو بن ميمون رضى الله عنه قال : "رأيت فى الجاهلية قِرْدة اجتمع عليها قِرَدة قد زنت فرجموها فرجمتُها معهم"[١] قال الحافظ ابن حجر : وقد ساق الإسماعيلى هذه القصة من

---

(١) رواه البخارى ٣٨٤٩ .

وجه آخر مطولة من طريق عيسى بن حطان عن عمرو بن ميمون قال : "كنت في اليمن في غنم لأهلي وأنا على شرف ، فجاء قرد مع قردة فتوسد يدها ، فجاء قرد أصغر منه فغمزها ، فسلت يدها من تحت رأس القرد الأول سلاً رفيقاً وتبعته فوقع عليها وأنا أنظر ، ثم رجعت فجعلت تدخل يدها تحت خد الأول برفق ، فاستيقظ فزعاً ، فشمها فصاح ، فاجتمعت القرود ، فجعل يصيح ويومئ إليها بيده فذهب القرود يمنة ويسرة ، فجاءوا بذلك القرد أعرفه ، فحفروا لهما حفرة فرجموهما ، فلقد رأيت الرجم في غير بني آدم"[١] .

وها هو حيوان يعرف رسول الله ويحن ويبكي ويشكو إليه ما يجد من صاحبه فعن عبد الله بن جعفر أن رسول

---

(١) ورواها المزي كذلك في تهذيب الكمال في ترجمة عمرو بن ميمون رضي الله عنه .

الله ﷺ دخل حائطاً لرجل من الأنصار فإذا فيه ناضح[١] فلما رأى النبى ﷺ فمسح ذفراه وسراته فسكن ، فقال : «**من رب هذا الجمل**»[٢] و جاء شاب من الأنصار فقال : أنا ، فقال : ((ألا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله إياها ، فإنه قد شكاك إلىّ وزعم أنك تجيعُه وتُدْئبه[٣] ، وروى أحمد بسند حسن عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان لآل رسول الله ﷺ وحش ، فكان إذا خرج رسول الله ﷺ اشتد ولعب فى البيت فإذا دخل رسول الله ﷺ سكن فلم يتحرك كراهية أن يؤذيه"[٤] فمن علم هذا القط أن يتأدب مع سيد النبيين المصطفى؟! ومن

---

(١) الناضح هو الجمل .
(٢) أى من صاحبه .
(٣) رواه أحمد وسألت عنه شيخنا العدوى فقال : حديث ثابت .
(٤) رواه أحمد وحسنه الشيخ مصطفى العدوى حفظه الله والوحش هو القط .

أعلمه أن هذا هو رسول الله؟! ومن ألهمه ذاك الخلق؟! إنه الله جل جلاله الذى خلق فسوى وقدر فهدى .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بينما راع فى غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة فطلبه الراعى، فالتفت إليه الذئب فقال: من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيرى؟ وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها، فالتفتت إليه فكلمته فقالت: إنى لم أخلق لهذا، ولكنى خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله! قال النبى ﷺ: فإنى أؤمن بذلك وأبو بكر وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما**»[1] فمن الذى أنطق تلك الدواب بذلك؟! ومن ذا الذى علمها وظيفتها وعملها؟! إنه الذى خلقها وأوجدها من العدم .

---

(١) رواه البخارى٣٦٦٣ .

سبحان الله ، هذه الدواب الخرس تنطق بلغة مفهومة تفصح عما في نفسها ، هذه الدواب تسبح الله جل جلاله ، وتسجد له ، وتوحده وتعبده ، أليس الله قد قال : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ ؟! أليس الله قد قال : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ ألا ما أشقى آدمياً البهائم خير منه عند الله ، ألا ما أغبى إنساناً الحيوان أعقل منه ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ [محمد : ١٢] ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ [الفرقان : ٤٤] ، ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنفال : ٢٢]

أيها الإنسان ، لقد كرمك الله بالعقل ، وأسبغ عليك نعمة الفهم ؛ فلماذا تضع نفسك فى موضع أقل من موضع الحيوان؟! لماذا تُنزل نفسك عن رتبتك التى جعلك الله عليها؟! لماذا ترضى بالدون؟! لماذا تكون الدواب أكثر ذكراً لله منك؟! يقول بعض السلف : ركّب الله فى الإنسان عقل ملك وشهوة حيوان فمن غلب عقله شهوته فهو خير عند الله من ملك ، ومن غلبت شهوته عقله فهو أخس عند الله من كلب .

فكن لله كما يريد يكُن لك مثل ما تريد وفوق ما تريد ، وأدم طاعة الله ولا تغفل عن ذكره فإن منزلتك على قدر عملك ، وعلى قدر التعب والنصب هنا تكون الراحة هناك ، سئل أحمد بن

حنبل : متى يجد العبد طعم الراحة؟ قال : عند أول قدم له فى الجنة . وإذا أردت المنزلة العليا من الجنة فعليك بالعليا من الأعمال .

وقد سلط الله دابة الأرضة على الصحيفة الظالمة التى كتبها سدنة قريش وسادتها لمقاطعة النبى ﷺ وأصحابه وبنى هاشم وبنى المطلب على ألا ينكحوهم ولا ينكحوا إليهم ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم ، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل ، كتبوا ذلك فى صحيفة وعلقوها فى جوف الكعبة قال ابن إسحاق وغيره : فأقاموا على ذلك ثلاث سنين حتى جهدوا لا يصل إليهم شئ إلا سراً مستخفياً به من أراد صلتهم من قريش ، ومشى قوم فى نقض هذه الصحيفة ،

وأخبر رسول الله ﷺ قومه أن الله قد أرسل على تلك الصحيفة الأرضة فأكلت جميع ما فيها إلا ذكر الله عز وجل فكان كذلك[1] فاستجابة هذه الدابة لأمر الله لها فأكلت الصحيفة عدا ما فيه ذكر الله فمن علمها ، ومن ألهمها ، ومن أفهمها؟! إنه الله تبارك وتعالى .

وقال القاسمي : قال القاشانى : قصة أصحاب الفيل مشهورة ، وواقعتهم قريبة من عهد رسول الله ﷺ وهى إحدى آيات القدرة ، وأثر من سخطه على من اجترأ عليه بهتك حرمه ، وإلهام الطيور والوحوش أقرب من إلهام الإنسان لكون نفوسهم ساذجة ، وتأثير الأحجار بخاصية أودعها الله فيها

---

(١) وقفات تربوية مع السيرة النبوية ص١١٢ نقلاً من السابق .

ليس بمستنكر قال: وقد وقع فى زماننا مثلها من استيلاء الفأر على مدينة أبيورد وإفساد زروعهم ، ورجوعها فى البرية إلى شط جيحون ، وأخذ كل واحدة منها خشبة من الأيكة التى على شط نهرها ، وركبوا عليها وعبروا بها من النهر[1] .

* * * * *

(١) محاسن التأويل (١٧/ ٢٦٢) .

سابعاً : الطير

وهـذه الطـيور السـابحة فـى الهـواء ، والسـاكنة فـى وكـناتها ، والرابضـة فـى أعشاشـها ، أو السـائرة عـلى الأرض والسـابحة فـى المـياه كـلها باخـتلاف أنواعهـا وأشـكالها تسبح بحمـد ربهـا عـز وجـل ، وتسـجد لـه ، وتخضـع لأمـره قـال تعـالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ** ﴾ [النور: ٤١] والطير صـافات: أى والطير فى حال طيرانها تسبح بحمد ربهـا وتعبده بتسبيح ألهمهـا وأرشـدها إليه وهـو يعلم ما هى فاعلـة ، ولهـذا قـال تعـالى: ﴿ **كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ** ﴾ أى كـل قد أرشده إلى طريقته ومسلكه فى عبادة الله عـز وجـل ، وثمـة قول آخر للمفسرين وهو كل

قد علم أي علم الله صلاته وتسبيحه فالحاصل أن فى الآية توجيهان للعلماء: الأول: كل طير من تلك الطيور علم كيف يصلى وكيف يسبح بعد إلهام الله عز وجل له ، والثانى: كل نوع من تلك المخلوقات المذكورة قد علم الله صلاته وتسبيحه .

وهذا طائر من تلك الطيور يغار ويغضب . . لماذا؟ لأنه رأى منكراً فظيعاً ، وإثماً شنيعاً ، يرتكب على أرض الله حيث يعبد غير الله ، ويتقرب إلى غيره فيتغيظ ذلك الطائر ويثور غضبه ويبحث عن وسيلة سريعة لإزالة هذا المنكر ومحوه ، إن هذا الطائر هو الهدهد عندما رأى ملكة سبأ تقود شعبها فى عبادة الشمس والسجود لها تعجب الهدهد من ذلك السفه ، وذلك الطيش المخزى! الله خلقكم ، وهو الذى رزقكم ومع لك تعبدون غيره!!

أنتم خلق من خلق الله والشمس هى الأخرى من خلق الله أفتسجدون للمخلوق وتعبدون المخلوق وتذرون عبادة الخالق العليم الحكيم سبحانه؟! وطار الهدهد بسرعة خاطفة وأخبر نبى الله سليمان ﷺ بما رأى ؛ لعله يزيل هذا الخبث وذاك الشرك ويدعو أولئك الأقوام إلى عبادة الله - عز وجل - وقد فصل ربنا - جل وعلا - تلك القصة فى سورة النمل فقال تبارك وتعالى: ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لاَ

يَهْتَدُونَ * أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [النمل: ٢٠ - ٢٦]

فسبحان الله الملك عز وجل الذى فطر خلقه على توحيده! هذا الطائر فطر على التوحيد وكره نجاسة الشرك وتأفّف منها وتعجب أشد العجب من قوم قاموا يسجدون لمخلوق لا يعقل ، ولا ينفع ولا يضر ، ولما كان الهدهد داعياً إلى الخير وعبادة الله وحده والسجود له ، نهى النبى ﷺ عن قتله فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: نهى النبى ﷺ عن قتل أربع من الدَّواب: «**النملة، والنحلة، والهدهد، والصرد**»[1].

(١) رواه أحمد ١/ ٣٣٢ ، وأبو داود ٥/ ٤١٨ ، وابن ماجة٢/ ١٠٧٤ وقال عنه ابن كثير فى التفسير: إسناده صحيح وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم٨٧٩ والصرد هو: طائر أكبر من العصفور ضخم الرأس والمنقار يصيد صغار الحشرات وربما

ولما تجبر أبرهة الحبشى وطغا ، وأراد هدم بيت الله الحرام ، وأقبل بخيله ورجله فى جيش عرمرم جرار تقدمه الفيلة الضخمة أرسل الله عليه جندياً من جنوده إنها طيور صغيرة يحمل كل طائر منها ثلاثة أحجار : حجر فى منقاره ، وحجرين فى رجليه ، فما يسقط حجر منها على رجل إلا قتله ، فمن ذا إلى سلطها؟! من ذا الذى أمرها بذلك؟! ومن الذى جعلها تحمل كلها ثلاثة أحجار ثم لا تسقط هذه الأحجار إلا على ذلك الجيش؟! إنه الله جل جلاله ، وقد ذكر ربنا عز وجل ذلك النبأ وخلد ذكر هذا الخبر يتلى فى المحاريب إلى يوم القيامة فقال عز وجل: ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ***

صاد العصفور وكانوا يتشاءمون به .

فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ [سورة الفيل]

ألا فليحذر المتجبرون المتكبرون عقاب الله وانتقامه!

ألا فليحذر المحاربون لدين الله بطش الله وبأسه!

إنه لا توجد قوة فى الأرض أبداً تعجز الله ؛ فالكل تحت قهر الملك الجبار ، الكل فى قبضة أحكم الحاكمين ، ولا تزول دولة ولا تسود دولة إلا بحكمه وأمره ولا ينتصر جيش ولا ينهزم جيش إلا بأمر الملك سبحانه . فكن من أولياء الله تجد العون والتأييد والنصرة من ربك جل جلاله ، كُن من أنصار الله تجد العزة والغلبة من القوى العزيز ، إذا كان الله معك ، إذا كان الله ناصرك ، إذا كان الله يعنيك ، فمن ذا يستطيع أن يصل إليك بضره؟! **﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ * إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾** [البروج: ١٢ - ١٣] **﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ**

رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢] اطمئن يا عبد الله لنصر الله لدينه وأوليائه وعباده ، قال ربنا سبحانه: ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

وهذا طائر يُعِّلم إنساناً ، ويرسله الله إليه معلماً فعندما قتل أحد ابنى آدم أخاه لم يدر كيف يخفى جثة أخيه فبعث الله الغراب ليعلمه كيفية ذلك ، وهذا هو الخبر بذلك فى كتاب الله تعالى قال الله عز وجل: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ [المائدة: ٣٠ - ٣١].

وهذا هو الديك طائر طبع على الكرم فإنه إذا رأى حباً جعل ينثره للدجاج ؛ لتأكله ويقف هو سعيداً بمشاهدة ما يرى! هذا الطائر يوقظ للصلاة ذكرت عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان إذا سمع الصارخ وثب ولذا نهى النبى ﷺ عن سب الديك فقال ﷺ: «**لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة**»[1] .

والديكة تصيح عند رؤية الملائكة لذا أمرنا النبى ﷺ عند سماع صياحها بأن نسأل الله من فضله فقال ﷺ: «**إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله ؛ فإنها رأت ملكاً ، وإذا سمعتم نهيق الحمار ؛ فتعوذوا بالله من الشيطان ؛ فإنه رأى شيطاناً**»[2] وصحح الشيخ الألبانى

---

(١) رواه أبو داود وصححه الألبانى فى صحيح الجامع ٧٣١٤ والمشكاة ٤١٣٦ .

(٢) رواه البخارى٣٣٠٣ .

رحمه الله حديثاً عن النبى ﷺ ألا وهو: «**أُذِنَ لى أن أحدث عن ديك قد مرقت رجلاه الأرض ، ورأسه مثنية تحت العرش يقول: سبحانك حيث كنت، فيقول عز وجل: لا يعلم ذلك من حلف بى كاذباً**»[1] .

فهذه الطيور كلها ما نرى منها وما لا نرى ، ما علمنا منها وما لم نعلم كلها تسجد لله وتسبح بحمد الله سبحانه وتعالى .

والطير تجرى على الأغصان عاكفةً

تسبح الله جهراً فى مغانيها

* * * * *

(١) وصححه كذلك الشيخ مصطفى العدوى .

ثامناً : النمل والنحل

وشأنهما عجيب ، جد عجيب والحديث عنهما يطول ، ففى حياة كل منها العجب خذ مثلاً واحداً فقط لكل منهما . قال ابن القيم : ومن عجيب أمر النملة أن الرجل إذا أراد أن يحترز ويتحفظ من النمل حتى لا يسقط فى عسل أو نحوه ، فإنه يحفر حفرة حولها ماء ، أو يتخذ إناء كبيراً ويملأه ماء ، ثم يضع فيه ذلك الشئ ، فيأتى النمل فيتسلق فى الحائط ، ويمشى على السقف إلى أن يحاذى ذلك الشئ حتى يكون فوقه مباشرة . ثم تلقى النملة بنفسها عليه . قال ابن القيم : وجربنا نحن ذلك . فمن علمها وألهمها؟! إنه الله .

يذكر أن ألد أعداء النحل هو الفأر . يهاجم الخلية فيأكل العسل ، ويلوث أجواء الخلية فماذا تفعل النحلة

الصغيرة أمام هذا الفأر الذى هو بالنسبة لها كالجبل؟!
إنها تطلق مجموعة من العاملات فتلدغه حتى يموت فإذا مات وبقى فى الخلية لوث أجواءها ، وأفسد العسل ، فماذا يفعل النحل؟ جعل الله عز وجل له مادة شمعية يفرزها فإذا دخل فأرٌ الخلية انطلق إليه مجموعة من النحل حتى يموت ثم يُخلف بها ذلك الفأر فلا ينتن ولا يتغير حتى لو بقى ألف عام حتى يأتى صاحب الخلية فيخرجه . فمن علم النحل ذلك؟![1] .

ومن عبودية النحل لربه عز وجل أن الله تعالى أوحى إلى النحل أن يتخذ بيوتاً فى الجبال والشجر والأسقف فقال الله تعالى: ﴿ **وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي**

---

(١) انظر كتاب "وما قدروا الله حق قدره" للمؤلف ، قدم له الشيخ/ محمد يعقوب ، والشيخ/ مصطفى العدوي .

مــن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ من بُطُونِهَــا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِــكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1] [النحل: ٦٨ - ٦٩] إن النحل يأتمر بأمر الله لـه ، ويستجيب لوحى الله لـه ، وينفذ ما أمره الله عز وجل به عبوديةً وخضوعاً لرب العالمين ، وهذا نوع من النحل أو الزنابير يحفظ جسد صحابى من صحابة رسول الله ؛ حتى لا يصل إليه المشركون فيأخذونه ، تأمل هذا الحديث الرائع ، وحم حول حماه تخرج بجملة كريمة من الفوائد فقد روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: "بعث النبى ﷺ سرية عيناً ، وأمر عليهم عاصم بن ثابت - وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب - فانطلقوا حتى إذا كان بين

---

(١) الوحى هنا بمعنى الإلهام والهداية والإرشاد كما فى وحى الله لأم موسى كذلك وليس معناه الوحى الذى يوحى الله به للأنبياء .

عسفان ومكة ذكروا لحى من هذيل يقال لهم بنو لحيان ، فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتصوا آثارهم ، حتى لحقوهم ، فلما انتهى عاصم وأصحابه لجأوا إلى فدفد ، وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا : لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلاً فقال عاصم : أما أنا فلا أنزل فى ذمة كافر ، اللهم أخبر عنا نبيك فقاتلوهم حتى قتلوا عاصماً فى سبعة نفر بالنبل وبقى خبيب وزيد ورجل فأعطوهم العهد والميثاق فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها ، قال الرجل الثالث : هذا أول الغدر فأبى أن يصحبهم فجرروه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل ، فقتلوه ، وانطلقوا بخُبيب وزيد حتى باعوهما بمكة ، فاشترى خبيب بنو الحارث بن عامر بن نوفل ، وكان خبيب هو قتل الحارث يوم بدر ،

فمكث عندهم أسيراً ، حتى إذا أجمعوا قتله استعار موسى من بعض نبات الحارث ليستحد بها ، فأعارته ، قالت : فغفلت عن صبى لى ، فدرج إليه حتى أتاه فوضعه على فخذه ، فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذلك منى ، وفى يده الموسى ، فقال : أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذاك إن شاء الله ، وكانت تقول ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب ، لقد رأيته يأكل من قطف عنب ، وما بمكة يومئذ ثمرة ، وإنه لموثق فى الحديد ، وما كان إلا رزق من الله ، فخرجوا به من الحرم ليقتلوه فقال : دعونى أصلى ركعتين . ثم انصرف إليهم فقال : لولا أن تروا أن ما بى جزع من الموت لزدت ، فكان أول من سن الركعتين عند الموت هو ثم قال : اللهم أحصهم عدداً ، ثم قال :

ما أن أبالى حين أُقتَـــلُ مسلمـــاً

على أى شق كان فى الله مصرعى

ولست أبالى حين أقتـــل مسلماً

على أى شق كان فى الله مصرعى

وذلك فى ذات الإله وإن يشـــأ

يبـــارك على أوصال شلو ممـــزع

ثـم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله ، وبعثت قريش إلى عاصـم لـيؤتوا بشـئ مـن جسـده يعـرفونه ، وكـان عاصم قـتل عظيماً مـن عظمائهم يوم بدر ، فبعث الله عليه مثل الظلـة مـن الدَّبـر فحمـته مـن رسلهم فلم يقدروا منه على شـئ"[1] قـال ابن حجر: وفى رواية أبى الأسود عن عروة «**فبعـــث الله عليهم الدبر تطير فى وجوههم وتلدغهم**»

(١) رواه البخارى٤٠٨٦ .

فحالت بينهم وبين أن يقطعوا» .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ : **«أن نملة قرصت نبياً من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه: أفى أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح الله»** [1] . فالنمل يسبح الله ويعبده ويخشاه .

* * * * *

(١) رواه البخارى٣٠١٩ ، ومسلم٢٢٤١ ، وأبو داود٤/ ٥٢٦٦ ، وابن ماجة٢/ ٣٢٢٥ ، والنسائى٧/ ٢١٠ .

تاسعًا: الرياح

فهي من جملة الأشياء التي تسبح بحمد الله وتسجد له سبحانه وبحمده ، وهي مسخرة مذللة ؛ لتكون رحمة لقوم وعذاباً على آخرين ، وهي من منن الله عز وجل ونعمه على عبده سليمان ﷺ قال تعالى: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ [ص: ٣٦] وقال تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ [سبأ: ١٢] قال السعدي رحمه الله: فقد سخر الله الريح لسليمان تجرى بأمره وتحمله وتحمل ما معه وتقطع المسافة البعيدة جداً في مدة يسيرة ، فتسير في اليوم مسيرة شهرين غدوها شهر أول النهار ورواحها شهر من الزوال

إلى آخر النهار[١] .

والريح جندى من جنود لله ينصر الله به عباده كما فى غزوة الأحزاب قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا** ﴾ [الأحزاب: ٩] قال مجاهد: سلط الله عليهم الريح فكفأت قدورهم ونزعت خيامهم حتى أظعنتهم[٢] ، وقال النبى ﷺ: «**نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور**» الفتح٢/ ٦٠٤ .

وجعل الله الرياح عذاباً على الكافرين من قوم عاد كما قال ربنا جل جلاله ﴿ **وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ**

(١) تيسير الكريم الرحمن .
(٢) فتح البارى٧/ ٤٦٤ .

حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ٦ - ٨]

والريح الصرصر أى الباردة ، والعاتية هى شديدة الهبوب قال قتادة: عتت عليهم حتى نقبت عن أفئدتهم[1] .

وهذه الريح حملت صوت عمر رضى الله عنه وأبلغته لقائده سارية فعن ابن عمر رضى الله عنهما أن عمر وجه جيشاً ورأس عليه رجلاً يقال له سارية . قال: فبينما عمر يخطب فجعل ينادى يا سارية الجبل . . يا سارية الجبل ، ثلاثاً ، ثم قدم رسول الجيش ، فسأله عمر ، فقال: يا أمير المؤمنين هُزِمنا ، فبينما نحن كذلك إذ سمعنا منادياً:

---

(١) رواه الطبرى ٢٣/ ٥٧٢ .

يـا سـارية الجـبل ثلاثـاً ، فأسـندنا ظهورنـا بالجـبل فهـزمهم الله ، قـال فقـيل لعمـر : إنـك كنـت تصـيح بذلـك[١] قـال الشـيخ الألـبانى رحمـه الله : فالقصـة صـحيحة ثابـتة ، وهـى كـرامة أكـرم الله بهـا عمـر حيث أنقـذ بـه جيش المسلمين مـن الأسـر أو الفـتك بـه ولكـن لـيس فـيها مـا زعمـه المتصـوفة مـن الاطـلاع عـلى عـلم الغيـب ؛ وإنمـا هـو مـن بـاب الإلهـام فـى عـرف الشـرع ، أو الـتخاطر كمـا فـى هـذه الحادثـة ، وقد يخطىء كما هو فى الغالب على البشر أهـ .

ولأن الـريح جندى مـن جنود الله فقـد نهـى النـبى ﷺ عـن سبها فقـال : «**لا تسـبوا الريح فإنها من روح الله تعـالى، تـأتى بالرحمة والعذاب، ولكن سلوا الله خيرها**

---

(١) رواه البـيهقى وابـن عسـاكر وصـححه الألـبانى فـى السلسـلة (١١١٠) .

وتعوذوا بالله من شرها» (١) .

وقال ﷺ: **«لا تلعن الريح فإنها مأمورة، فإنه من لعن شيئاً ليس لــه بأهل رجعت اللعنة عليه»** (٢) قال الشافعي رحمه الله : لا ينبغي شتم الريح فإنها خلق مطيع لله ، وجند من جنوده ، يجعلها الله رحمة إذا شاء ونقمة إذا شاء .

* * * * *

(١) رواه ابن ماجة وأحمد كما في صحيح الجامع ٧٣١٦ .
(٢) رواه أبو داود و والترمذي ، وابن حبان والبيهقي والطبراني كما في السلسلة الصحيحة للألباني ٥٢٧ ، وصحيح الجامع ٧٣٢٤ .

عاشراً: الرعد والسحاب

قال الله تعالى: ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاء وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾[الرعد: ١٣] فقد أخبرنا ربنا - عز وجل - فى تلك الآية الكريمة بأن الرعد يسبح بحمد ربه ، وقد ورد عن عبد الله بن الزبير - رضى الله عنه - أنه كان إذا سمع صوت الرعد ترك الحديث وقال: سبحان الذى يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويقول: إن هذا لوعيد شديد لأهل الأرض[1] .

فهذا الرعد يسبح بحمد الرب العلى سبحانه ويسجد له ، وهذا السحاب سخره الله وذلله ، وكوَّنه نعمة منه

---

(١) رواه مالك فى الموطأ ٢/ ٩٢٢ ، والبخارى فى الأدب المفرد: ٧٢٤ .

لعباده ؛ لينزل منه الماء الذى به قوام حياتهم قال جل جلاله : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ * يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ [النور: ٤٣ - ٤٤]

نعم ، إن السحاب مسخر مأمور ، لا يتحرك حركة ولا يسكن سكنة ، ولا تنزل منه قطرة إلا بإذن من الله جل جلاله . فى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : «**بينا رجل بفلاة من الأرض، فسمع صوتاً فى سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه فى حرة ، فإذا شرجة من تلك**

الشـــراج قد استوعبت الماء كله، فتتبع الماء فإذا رجل قــائم فى حديقته يحول الماء بمسحاته فقال لـــه: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلان. للاسم الذى سمع فى السحابة فقــال لـــه: يا عبد الله، لم تسألنى عن اسمى؟ فقال: إنى سمعـــت صوتاً فى السحاب الذى هذا ماؤه يقول: اسق حديقـــة فلان لاسمك فما تصنع فيها؟ قال: أما إذا قلت هـــذا فإنى أنظر ما يخرج منها فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالى ثلثاً، وأرد فيها ثلثه»[1].

وفى صحيح البخارى عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال: "أصاب الناس سنة على عهد رسول الله ﷺ فبينا رسول الله ﷺ يخطب على المنبر يوم الجمعة قام أعرابى فقال: يا رسول الله، هلك المال وجاع العيال،

---

(١) رواه مسلم برقم٢٩٨٤ .

فادع الله لنا أن يسقينا قال فرفع رسول الله ﷺ يديه وما فى السماء قزعة قال: فثار سحاب أمثال الجبل ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته قال: فمطرنا يومنا ذلك وفى الغد، ومن بعد الغد، والذى يليه إلى الجمعة الأخرى، فقام ذلك الأعرابى أو رجل غيره فقال: يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال، فادع الله لنا فرفع رسول الله ﷺ يديه وقال: ((اللهم حوالينا لا علينا)) قال: فما جعل يشير بيده إلى ناحية من السماء إلا تفرجت حتى صارت المدينة مثل الجوبة حتى سال الوادى - وادى قناة - شهراً، قال: فلم يجئ أحد من ناحية إلا مدت بالجود"[1] وفى لفظ فى البخارى عن عبد الله بن أبى نمر أنه سمع أنس بن مالك يذكر أن رجلاً دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسول الله ﷺ

(١) رواه البخارى١٠٣٣، ومسلم برقم٨٩٧

قائمٌ فقال: يا رسول الله ، هلكت المواشى وانقطعت السبل ، فادع الله يغيثنا قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال: اللهم اسقنا اللهم اسقنا . قال أنس: ولا والله ما نرى فى السماء من سحاب ولا قزعة ولا شيئاً ، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار ، قال فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ، ثم أمطرت قال: والله ما رأينا الشمس سبتاً ، ثم دخل رجل من ذلك الباب فى الجمعة المقبلة - ورسول الله ﷺ قائم يخطب - فاستقبله قائماً فقال: يا رسول الله ، هلكت الأموال وانقطعت السبل ، فادع الله يمسكها قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: ((اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب ، والأودية ومنابت الشجر)) قال فانقطعت وخرجنا نمشى فى الشمس . قال شريك

فسألت أنساً: أهو الرجل الأول؟ قال: لا أدرى"[1] فمن ذا الذى ساق السحاب ليأتى بالمطر ، ومن الذى يجعل السحاب ينقشع ويندفع بعيداً عن مدينة رسول الله ﷺ؟! إنه الله عز وجل الذى سخره وأوجده .

* * * * *

(١) رواه البخارى برقم١٠٣٣ ، ومسلم برقم٨٩٧ .

حادى عشر : البحار والأنهار

إن المرء إذا وقف أمام البحر وتأمل سعته وضخامته وكثرة ما فيه من كائنات لا يحيط بعددها وأجناسها إلا خالقها جل جلاله ، إذا تفكر المرء فى ذلك وجد الجلال والإجلال لخالق هذا الشئ المدهش العجيب ، هذا البحر الذى فيه موج من فوقه موج إذا التقى الماء العذب بالماء المالح ؛ وجدت بينهما برزخاً وحجراً محجوراً فمن ذا الذى خلق ذلك وأبدعه؟ إنه الله القائل سبحانه ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن: ١٩ - ٢١] ، وهو القائل سبحانه وتعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٥٣] ويأتى العلم الحديث ليقرر

تلك الحقيقة التى لا نحتاج أصلاً إلى تقريرها فإننا نصدق بكلام ربنا ، ولا نحتاج لكلام أحد من الناس ؛ ليزيد تصديقنا له ، لكننا نوجه ذلك لمن لا يمتثل إلا ما يمليه عليه عقله وهواه نقول : اكتشف العلم الحديث أنه عند مناطق التقاء الماء العذب بالماء الملح فإنه يتميز هذا عن هذا ، ولا يختلط هذا بذاك وهذا تعيش فيه كائنات تختلف عن الكائنات التى تعيش فى هذا ، والأعجب من ذلك أن هذا الحاجز بين البحرين تختلف كثافة المياه فيه عن كثافة ماء البحر وعن كثافة ماء النهر بل وتعيش فيه كائنات لا تعيش لا فى البحر ولا فى النهر! فسبحان من خلق الخلق وأبدعه .

نقول أيها الأحبة : إن هذه البحار والأنهار تسجد لله الواحد القهار ، وتسبح بحمده ، وتأتمر بأمره ، فهى من

جملة ما ذكر الله عز وجل : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [الصف : ١] ، ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ ﴾ .

والبحر هو الذى حمل موسى رضيعاً ليصل به إلى بيت فرعون ، حمل موسى وهو فى مهده ومضت به الأمواج ليلتقطه فرعون قال تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي ﴾ [القصص : ٧] وقال عز وجل ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ﴾ [طه : ٣٨ - ٣٩] إن البحر أُمِر بأن يلقى موسى إلى الساحل تلك مهمته ، وهذا دوره الذى أنيط به .

والبحر ضربه موسى بعصاه فانفلق ليمضى موسى وينجو من فرعون ، انفلق البحر بقدرة الملك الذى يقول للشئ كن فيكون ليعبره موسى ومن معه سالمين آمنين يقول ربنا سبحانه ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ * وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴾ [الشعراء: ٦٣ - ٦٥] فمن أعلمه وألهمه وفهمه؟! .

والبحر يحمل خشبة من ساحل ليوصلها إلى ساحل آخر ليؤدى أمانة رجل جعل الله لـه كفيلاً ووكيلاً ففى صحيح البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه ذكر رجلاً من بنى إسرائيل : ((سأل بعض بنى إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال : ائتنى بالشهداء أشهدهم ، فقال : كفى بالله شهيداً ، قال :

فائتني بالكفيل قال: كفى بالله كفيلاً قال: صدقت فدفعها إليه على أجل مسمى . فخرج في البحر فقضى حاجته ، ثم التمس مركباً يركبها يقدم عليه للأجل الذى أجله فلم يجد مركباً ، فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه ، ثم زَجَّج موضعها ، ثم أتى بها إلى البحر فقال: اللهم إنك تعلم أنى كنت تَسَلَّفْتُ فلاناً ألف دينار فسألنى كفيلاً فقلت كفى بالله كفيلاً فرضى بك . وإنى جهدت أن أجد مركباً أبعث إليه الذى له فلم أقدر وإنى أستودعكها فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ، ثم انصرف وهو فى ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده . فخرج الرجل الذى كان أسلفه ينظر لعله يجد مركباً قد جاء بماله فإذا بالخشبة التى فيها المال فأخذها لأهله حطباً ، فلما نشرها وجد المال والصحيفة ثم قدم الذى كان أسلفه فأتى بالألف دينار

فقال: والله ما زلت جاهداً فى طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركباً قبل الذى أتيت فيه قال: هل كنت بعثت إلى بشئ؟ قال: أخبرك أنى لم أجد مركباً قبل الذى جئت فيه قال: فإن الله قد أدى عنك الذى بعثت فى الخشبة ، فانصرف بالألف دينار راشداً))[1] .

وفى البداية والنهاية لابن كثير عن قيس بن الحجاج عمن حدثه قال: لما افتتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص - حين دخل "بؤنة" من أشهر العجم - فقالوا: لنيلنا هذا سنة لا يجرى إلا بها . قال: وما ذاك؟ قالوا: إذا كانت اثنتى عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر من أبويها فأرضينا أبويها ، وجعلنا عليها من الحلى والثياب أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها فى هذا

(١) رواه البخارى برقم٢٢٩١ .

النيل . فقال لهم عمرو : إن هذا مما لا يكون في الإسلام ، إن الإسلام يهدم ما قبله قال : فأقاموا بؤنة وأبيب ومسرى ، (والنيل) لا يجرى قليلاً ولا كثيراً ، حتى هموا بالجلاء ، فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب بذلك ، فكتب إليه : إنك قد أصبت بالذى فعلت ، وإنى قد بعثت إليك بطاقة داخل كتابى فألقها فى النيل ، فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة فإذا فيها : من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر ، فإن كنت إنما تجرى من قبلك ، ومن أمرك فلا تجر فلا حاجة لنا فيك ، وإن كنت تجرى بأمر الله الواحد القهار وهو الذى يجريك فنسأل الله تعالى أن يجريك" قال : فألقى البطاقة فى النيل فأصبحوا يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعاً فى ليلةٍ واحدةٍ وقطع الله السنة

السيئة عن أهل مصر إلى اليوم"[١] .

فانظر إلى أى مدى تثق القلوب بربها ، ولا يتلاعب الشيطان بها ، وكيف يتلاعب الشيطان؟! بأمة يحكمها عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى يفر منه الشيطان كما قال له النبى ﷺ: «**ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك**»[٢] والله ما استخفت بنا الشياطين ولا لعبت بنا الطواغيت إلا ببعدنا عن منهج ربنا وسنة نبينا ﷺوما خاف عبد ربه حقاً إلا أخاف الله منه عدوه ، ومن خاف من عدوه أخافه الله من كل شئ ، وعاش فى الدنيا محروماً من نعمة الأمن والأمان ، أما المؤمن فلا يخاف إلا ربه عز وجل ، حتى فى أحلك الأمور وأعظم الشدائد ؛ لأن قلبه موصول بالله ، ولأنه يعلم أن ما

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ١٠٢ ، ١٠٣ .
(٢) رواه البخارى برقم ٣٦٨٣ .

أصابه إنما هو بقدر الله ؛ وأن الله الرءوف الرحيم الودود جل وعلا لا يتخلى عن عباده ولا يتركهم أبداً نعم و إن هذه العادة سنة جاهلية وقد سول الشيطان للناس اتباعها أرهبهم من تركها ، كأولئك المخدوعين من الصوفية الذين يظنون أن لهم كرامات وأن لأصحاب الأضرحة تصرفات وكذبوا ، وبئس ما زعموا ؛ فإن أولياء الله حقاً يطلبون الاستقامة ولا يطلبون الكرامة .

إن بعضهم يستدل على صحة مذهبه بأنه قد يقوم بالخوارق كأن يدخل السيخ فى صدغه أو يدخل يده فى النار فلا تحترق ، أو أنه يرى الجنة فى منامه أو أنه يسمع صوت صاحب الضريح يكلمه ، ونحن لا ننكر أن يقوم بشئ من تلك الخوارق لكن الحقيقة المطموسة التى أخفاها عليهم الشيطان أن الذى يقوم بذلك وييسر بعضه

هو الشيطان نفسه ولم لا؟ وهل يفعل البوذيون الكفرة إلا مثل ذلك أو أشد من ذلك؟! أرأيت لو جاء رجلٌ ساحر وفعل ذلك بل وأشد من ذلك وزعم أنه وليٌّ لله أنصدِّقه؟! وأين نحن من قول ربنا سبحانه: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقوله سبحانه: ﴿ وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ [طه: ٦٩] وفى صحيح البخارى عن بجالة بن عبدة قال كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه: "أن اقتلوا كل ساحر وساحرة"(١)، وروى البخارى فى التاريخ عن أبى عثمان النهدى قال: كان عند الوليد رجلٌ يلعب فذبح إنساناً وأبان رأسه فعجبنا له فأعاد رأسه فجاء جندب الأزدى فقتله" وإنما سقتُ ذلك لتعلم خطر السحر وأن من توصَّل إلى شيء

(١) رواه البخارى ٣١٥٦.

من هذه الخوارق بالسحر فماله فى الآخرة من خلاق ، فالحق لا يستدل عليه بحال من الأحوال ؛ وإنما يعرف الحق من خلال كلام الله وكلام رسوله ﷺ كما قيل : إذا رأيت الرجل يمشى على الماء أو يطير فى الهواء فلا تصدقه حتى تعرض كلامه على القرآن والسنة .

إن هذا الذى حدث كرامة لعمر . نعم ، لأن عمر ولى الله ، وكل مؤمن تقى فهو لله ولى ، وكلما ازداد الإنسان معرفة بربه زاد منه خوفاً ، وازداد له حباً ، وازداد منه قرباً ، وازداد له طاعة ، فالمرء يوزن بعمله لا بادعائه وزعمه .

ألا فليعد كل مسلم إلى ربه وليلزم عتبة العبودية لله وطريقها واضح وهو كتاب وسنة بفهم سلف الأمة .

* * * * *

ثانى عشر : الطعام

هـذا الطعـام الـذى نأكلـه مـن جملـة الأشـياء الـتى تسـبح بحمـد ربهـا ، ففـى صـحيح الـبخارى مـن حديـث ابـن مسـعود رضـى الله عـنه قـال : "كـنا نعـد الآيـات بـركة وتعدونهـا تخويفـاً ، كـنا مـع رسـول الله ﷺ فـى سـفر فقـلَّ المـاء ، فقـال : اطلـبوا فضـلة مـن مـاء فجـاءوا بإنـاء فـيه مـاء قلـيل ، فـأدخل يـده فـى الإنـاء ثـم قـال : حـى عـلى الطهـور المـبارك ، والـبركة مـن الله ، فلقـد رأيـت المـاء ينـبع مـن بـين أصـابع رسـول الله ﷺ ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل"[1] .

وروى ابـن إسـحاق بسـند صـحيح أن النـبى ﷺ لمـا

(١) رواه البخارى ٣٥٧٩ .

اطمأن به المقام أهدت إليه امرأة سلام بن مشكم شاة مشوية مسمومةً وقد تناول النبى مضغة منها فلاكها ثم لفظها ثم قال: «**إن هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم**»[1]؟

* * * * *

(١) صححه الألبانى بهامش فقه السيرة ص٣٦٠ .

ثالث عشر : السمك

ذلك العالم العجيب ، الذى تتعدد أشكاله وأجناسه وبرغم هذا التقدم العلمى المذهل فإن الإنسان لا زال عاجزاً عن اكتشاف كل أنواع الأسماك وكل يوم يكتشف جديداً ، نعم إنه لا يعلم أعداد هذه الأسماك وأشكالها ولغاتها وأرزاقها وأقواتها ومستقرها ومستودعها إلا خالقها العليم الخبير جل وعلا . هذه الأسماك كلها تذعن بالعبودية لربها جل جلاله ، بل وتستغفر للعلماء كما أخبر بذلك سيد الأنبياء وإمام الأتقياء محمد ﷺ فقال: **« .... وإن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء... »**[1] .

وقال ﷺ: **«إن الله وملائكته وأهل السموات**

(١) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجة وابن حبان والبيهقى وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب رقم٦٨ .

والأرض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمى الناس الخير» (١) .

وكذا قال ﷺ: **«معلم الخير يستغفر له كل شئ حتى الحيتان فى البحر»** (٢) والحيتان هى الأسماك وليست مقصورة على سمك الحوت الذى نعلمه فحسب .

وإن تعجب فلتعجب من عبودية ذلك الحوت الذى التقم نبياً من الأنبياء وبقى فى بطنه مدة من الزمان وبعد انقضاء المدة مع التسبيح والاستغفار من نبى الله يونس أوحى الله إلى الحوت أن يلقى به إلى البر فمن علم الحوت ذلك ، ومن الذى أمسك معدة الحوت دون أن تطحن جسد نبى الله يونس؟! .

---

(١) رواه الترمذى وقال حسن صحيح وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب رقم٧٨ .
(٢) رواه البزار وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب رقم٧٩ .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ *إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ *فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ * فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ *فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ *لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ *فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ *وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴾ الصافات [١٣٩ - ١٤٦] .

يقول الإمام ابن كثير: وذلك أن السفينة تلعبت بها الأمواج من كل جانب وأشرفوا على الغرق فساهموا على من تقع عليه القرعة يلقى فى البحر لتخف بهم السفينة فوقعت القرعة على نبى الله يونس عليه الصلاة والسلام ثلاث مرات ، وهم يضنون به أن يلقى من بينهم فتجرد من ثيابه ليلقى بنفسه وهم يأبون عليه ذلك ، وأمر الله حوتاً من البحر الأخضر أن يشق البحار

وأن يلتقم يونس عليه السلام فلا يهشم له لحماً ولا يكسر له عظماً ، فجاء ذلك الحوت وألقى يونس عليه السلام نفسه فالتقمه الحوت بإذن الله وما ألقاه الحوت إلا بإذن الله وأمره ، فالحوت مؤتمر بأمر الله وقد أعلمه الله متى يلتقم يونس ومتى يقذف به .

وفي قصة أصحاب السبت شاهد آخر على عبودية الأسماك لربها عز وجل يقول الله تبارك اسمه : ﴿ **وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ** ﴾ [الأعراف : ١٦٣] فهذه قصة قوم من بني إسرائيل احتالوا على أمر الله وبدلوه وانتهكوا حرمات الله ؛ فأنزل لله بهم بأسه ، وجعلهم خنازير ،

جعلهم الله خنازير ؛ لأن الله حرم عليهم الصيد يوم السبت ، وأحله فى باقى الأيام فكانت الأسماك تبدو لهم يوم السبت وتختفى فى يوم الأحد فينصبون الشباك يوم الجمعة ثم يجمعونها يوم الأحد قال السعدى رحمه الله "إذ يعدون فى السبت " وكان الله تعالى قد أمرهم أن يعظموه ويحترموه ولا يصيدوا فيه أبداً فابتلاهم الله وامتحنهم فكانت الحيتان تأتيهم ﴿ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً ﴾ أى كثيرة طافية على وجه البحر ﴿ وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ ﴾ أى إذا ذهب يوم السبت "لا تأتيهم" أى تذهب فى البحر فلا يرون منها شيئاً أ هـ .

ولسنا بصدد سرد القصة ؛ وإنما نريد أن نستل منها عبرة ألا وهى عبودية هذه الأسماك لله عز وجل فكيف عرفت الأسماك يوم السبت لتظهر فيه وكيف عرفت

غيره من الأيام لتتوارى عن الأعين! أتراها تفعل ذلك من تلقاء نفسها أم بوحى من الله جل جلاله ليبتلى أولئك الظالمين بما كسبت أيديهم؟! تأمل كيف فهمت الأسماك وامتثلت أمر الله لها؟! إنهم لما احتالوا على أمر الله وظنوا أنهم بذلك يخادعون الله كانت النتيجة أن مسخ الله أجسادهم وغير صورتهم إلى صورة الخنازير فكيف لو جاء أناس اليوم وتشبهوا بهؤلاء واحتالوا على محرمات الله وسموها بغير اسمها ، وارتكبوها وتجرءوا على فعلها ، كمن يسمى الخمر بغير اسمها ، ويسمى الربا بغير اسمه وأصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً وخُوِّن الأمين وائتُمن الخونة! ألا يخشى أولئك أن يمسخ الله صورهم أو يمسخ قلوبهم؟! فكم من رجل يسير بين الناس صورته صورة رجل وقلبه قلب كلب! ينظر إلى العورات ويلهث خلف الساقطات ، وينتهك المحرمات ،

لا صبر له ، ولا إيمان له ، ومن الناس من يمشى تراه فى صورة إنسان وقلبه قلب خنزير إذ لا يغار على عرضه ولا يصون حريمه ، بل يرضى بالخبث فى أهله ، يرى زوجته أو ابنته تتبرج وتصادق هذا ، وتهاتف ذاك ، وتتنزه مع ذلك وقد تفسق وتفجر وهو خنزير لا يحرك ساكناً ولا تثور له غيرة ، ولا تتحرك فيه نخوة أى خسة تلك التى يرتع فيها شخص كهذا؟! أناس مسخت قلوبهم وهم لا يشعرون! كم من أناس صاروا ذئاباً وهم لا يفقهون! فإياك أخى أن تحتال على محرمات الله واصبر فى الدنيا قليلاً تسترح فى الجنة كثيراً كثيراً .

* * * * *

رابع عشر: الجوارح

وجوارح الإنسان تشهد بالحق وتنطق بأمر الله عز وجل قال الله عز وجل ﴿ **وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ فصلت [١ - ٢١] وفى صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: كنا عند النبى ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه ثم قال رسول الله ﷺ: «**أتدرون مم أضحك؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «**من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول: رب ألم تجرنى من الظلم؟ قيقول: بلى. فيقول: لا أجيز على نفسى إلا شاهداً منى فيقول: كفى**

بنفســـك اليوم عليك حسيباً وبالكرام الكتاب شهوداً فيخـــتم على فيه ويقال لأركانه: انطقى فتنطق بعمله ثم يخـــلى بينه وبين الكلام، فيقول: بعداً وسحقاً ؛ فعنكن كنت أناضل» (١) .

وعـن جابـر بـن عـبد الله رضـى الله عـنهما قـال : لما رجعــت إلى رســول الله ﷺ مهاجــرة الــبحر قــال : **«ألا تحدثــون بأعاجيـــب ما رأيتم بأرض الحبشة»** فقـال فتية منهم : بـلى يـا رسـول الله ، بيـنما نحـن جلـوس إذ مـرت علينا عجـوز مـن عجائزهم تحمل على رأسها قُلَّة من ماء فمـرت بفتى منهم فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخـرت عـلى ركبتـيها فانكسـرت قلـتها ، فـلما ارتفعـت التفتـت إلـيه فقالـت : سـوف تعـلم يـا غُـدر إذا وضـع الله

---

(١) رواه مسلم برقم ٢٩٦٩ والنسائى برقم١١٦٥٢ .

الكرسى وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدى والأرجل بما كانوا يكسبون ؛ فسوف تعلم كيف أمرى وأمرك عنده غداً ، قال يقول رسول الله ﷺ : «**صدقت صدقت كيف يقدس الله تعالى قوماً لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم**» [(١)] .

نعم إن الجوارح تنطق ، وعلى صاحبها تشهد ، والذى يستنطقها هو الذى خلقها فتنطق بأمره سبحانه ، وفى الحديث : «**إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان تقول: اتق الله فينا فإنما نحن بك فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا**» [(٢)] .

* * * * *

(١) رواه ابن ماجة ، وابن حبان ، وأبو يعلى ، وصححه الألبانى فى صحيح ابن ماجة .

(٢) رواه الترمذى ، وابن خزيمة ، والبيهقى وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع ٣٥١ ، المشكاة ٤٨٣٨ .

خامس عشر : ظِلُّ كُلِّ شئ

فالظل مخلوق يسجد لله تعالى كما يسجد صاحب الظل تماماً ، بل قد يسجد الظل وصاحبه كافر بالله ! فكم من ظلٍّ خير من صاحبه ! يقول ربنا سبحانه : ﴿ **وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ** ﴾ [الرعد : ١٥] فكل شئ فى السماوات ، وكل شئ فى الأرض يسجد لله عز وجل طوعاً منه واختياراً وهم المؤمنون ، وكرهاً وهم الكافرون فإن الكافرين خلق من خلق الله ، عبيد له سبحانه وإن كفرت قلوبهم قال تعالى : ﴿ **إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا** ﴾ [مريم : ٩٣] فظل كل شئ يسجد لله عز وجل بالغدو أى أول النهار والآصال وهو آخر النهار .

وقال الله عز وجل: ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْاْ إِلَى مَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلاَلُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالْشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِلّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ * وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَالْمَلآئِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ * يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[1] [النحل: ٤٨ - ٥٠]. قال الحافظ ابن كثير: يخبر تعالى عن عظمته وجلاله وكبريائه الذى خضع له كل شئ، ودانت له الأشياء والمخلوقات بأسرها جماداتها وحيواناتها ومكلفوها من الإنس والجن، والملائكة، فأخبر أن كل ما له ظل يتفيأ ذات اليمين وذات الشمال أى بكرة وعشياً فإنه يسجد بظله لله تعالى. قال مجاهد: إذا زالت الشمس سجد كل شئ لله عز وجل وقال

---

(١) يتفيأ ظلاله: تميل وتنتقل من جانب إلى آخر، داخرون: صاغرين ذليلين.

أيضاً : سجود كل شئ فيؤه ، وذكر الجبال قال : سجودها فيؤها وقال أبو غالب الشيبانى : أمواج البحر صلاته ونزلهم منزلة من يعقل إذا أسند السجود إليهم أهـ . فعجباً لمخلوق كالخشب المسندة تسجد جوارحه ، ويسجد ظله وقلبه جاحد لنعمة ربه مكذب بوعيده ووعده ! ! نعوذ بالله من الخذلان ، ونسأله حسن الخاتمة ودخول الجنان .

* * * * *

سادس عشر : الجنة والنار

وهمـا موجودتـان ، مخلوقـتان لا تفنـيان ، فالجـنة أعدت للمتقين والنار أعدت للكافرين ، خلق الله الجنة جزاء لعباده المؤمنين بالنعيم المقيم ، لا يفنى نعيمهم ، ولا يبلى شبابهم ، ولا تبلى ثيابهم نسأل الله جنته برحمته ، وخلق النار داراً للفاسقين الفاجرين الكافرين نعوذ بالله منها .

وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال : «**لا تزال جهنم تقـول هـل من مزيد حتى يضع فيها رب العزة تبارك وتعالى قدمه فتقول: قط قط وعزتك ويزوى بعضها إلى بعض**»[1] .

وتختصم الجنة والنار وتتحاجان كما فى الصحيحين

---

(١) رواه البخارى [٦٦٦١] ومسلم (٢٨٤٨) .

من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجـــبرين. وقالت الجنة: فمالى لا يدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقطهم وغرتهم؟ قال الله للجنة: إنما أنت رحمتى أرحـــم بـــك من أشاء من عبادى وقال للنار: إنما أنت عـــذابى أعذب بك من أشاء من عبادى، ولكل واحدة منكما ملؤها ، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله تقول: قط قط قط، فهنالك تمتلئ، ويزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله من خلقه أحداً وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقاً**»[1] .

وهـذا الخلـق الـذى ينشئه الله للجنة ؛ لأنها بعد دخول أهلها إليها لا يزال فيها فضل كما فى مسلم : ((ولا يزال

---

(١) رواه البخارى (٤٨٥٠) ومسلم (٢٨٤٦) .

فى الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة))[١] . فاللهم ربنا نسألك الجنة برحمتك وفضلك .

إن النار اشتكت إلى ربها عز وجل قال رسول الله ﷺ : «**اشـــتكت النار إلى ربها فقالت: رب أكل بعضى بعضاً فـــأذن لهـــا بنفسين: نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف، فأشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير**»[٢] . ويؤتـى بهـا إلى أرض المحشـر يـوم القـيامة كمـا عـند مسـلم مـن حديـث ابـن مسـعود رضـى الله عـنه قـال قـال رسول االله ﷺ : «**يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**»[٣] .

أمـا الجنة - أسـأل الله أن يجعلـنى وإيـاكم مـن أهـلها -

---

(١) رواه مسلم برقم(٢٨٤٨) .
(٢) رواه البخارى٣٢٦٠ ، مسلم ٦١٧ .
(٣) رواه مسلم ٢٨٤٢ .

فإنها لما خلقها الله عز وجل قال لها: تكلمى فنطقت بالحق وشهدت بالصدق .

قال النبى ﷺ: «**لما خلق الله الجنة قال: تكلمى قالت: قد أفلح المؤمنون**»(١) .

وقال قتادة: لما خلق الله الجنة قال لها: تكلمى فقالت: طوبى للمتقين . وقال أبو سعيد الطائى: أخبرت أن الله تعالى لما خلق الجنة قال تزينى فتزينت ثم قال لها: تكلمى فتكلمت فقالت: طوبى لمن رضيت عنه .

* * * * *

---

(١) رواه الطبرانى وصححه محقق حادى الأرواح بشواهده .

سابع عشر: الموت

والموت خلق من خلق الله . قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ [الملك: ١ - ٢] فالموت مخلوق خلقه الله عز وجل وكتبه على كل حى ، فكاتب تلك السطور يموت وقارئها يموت . وكل حى سوف يموت ولا يبقى إلا الحى الذى لا يموت . ذلكم الله صاحب العزة والجبروت والملك والملكوت قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥] وقال تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧] .

فالذى يملك الإحياء والإماتة والضر والنفع والإعادة

والإنشاء هو الله عز وجل ﴿ **وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى * وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا** ﴾ [النجم: ٤٣- ٤٤] وهذا الموت نفسه يذبح ويموت كما جاءت بذلك الأحاديث عن رسول الله ﷺ ففى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادى مناد: يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت**» . ثم قرأ ﴿ **وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ** ﴾ وهؤلاء فى غفلة أهل الدنيا "وهم لا يؤمنون"[١] .

(١) رواه البخارى (٤٧٣٠) ومسلم (٢٨٤٩) .

نعم الموت مخلوق كتبه الله على الخلق فالخلق يموتون ثم يبعثون كما قال الله عز وجل: ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ** ﴾ [الزمر: ٦٨].

* * * * *

ثامن عشر: الملائكة

وهم عباد الله المكرمون المطيعون لله عز وجل ، لا يفترون ، ولا ينقطعون عن عبادة الله سبحانه قال تعالى: ﴿ وَمَنْ عِندَهُ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء ١٩ - ٢٠] وقال تعالى: ﴿ وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾ [الصافات: ١٥١ - ١٦٦] وهم لا يعصون الله أبداً كما قال تعالى: ﴿ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦] الملائكة تحب المؤمنين وتستغفر للذين آمنوا ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا

سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُم وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [غافر: ٧ - ٩].

ويحج منهم كل يوم سبعون ألف ملك يحجون إلى البيت المعمور وهو بيت بحذاء الكعبة فى السماء السابعة وهو كعبة أهل السماء.

كما فى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: «**ثم رفع بى إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه آخر ما عليهم**»[1] والملائكة توالى المؤمنين وتحبهم وتنصرهم كما قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿ **إِذْ**

(١) رواه البخارى (٣٢٠٧)، مسلم (١٦٤).

يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ ﴾ [الأنفال: ١٢] وفى صحيح البخارى عن رفاعة بن رافع الزرقى قال: جاء جبريل إلى النبى ﷺ فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: ((من أفضل المسلمين)) - أو كلمة نحوها - قال: "وكذلك من شهد بدراً من الملائكة"[1] .

وفى صحيح مسلم من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد فى أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه ، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم ، فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً فنظر إليه فإذا هو قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط ، فاخضر ذلك أجمع فجاء

---

(١) رواه البخارى (٣٩٩٢) .

الأنصارى فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة"(١) ، وفى صحيح البخارى عن البراء رضى الله عنه قال قال النبى ﷺ لحسان **«اهجهم – أو هاجهم – وجبريل معك»** (٢) .

فالملائكة تؤيد المؤمنين وتنصرهم على الكافرين ، ومن فوق الجميع رب العالمين يرضى عن المجاهدين ، ويقبل شهيدهم ، وينصر جندهم ؛ فالحمد لله ثم الحمد لله دائماً أبداً لا ينقضى أن جعلنا من المسلمين ونسأله سبحانه أن يرزقنا الشهادة فى سبيله مقبلين غير مدبرين .

إخوتاه: إنه لا يخلو موضع قدم فى السماء من ملك ساجد أو راكع أو قائم قانت لله عز جل كما ثبت عند الترمذى من حديث أبى ذر الغفارى رضى الله عنه أن

---

(١) رواه مسلم (١٧٦٣) .
(٢) رواه البخارى (٣٢١٣) .

النبى ﷺ قال: «**إنى أرى ما لا ترون أطت السماء وحق لها أن تئط مافيها موضع أربع أصابع إلا وملك وواضع جبهته ساجداً لله تعالى، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى**»[1] .

ومن الملائكة أمين الوحى والسفير من الله تعالى ورسله وهو جبريل ، ومنهم الموكل بالقطر والسحاب وهو ميكائيل ، ومنهم من هو موكل بالنفخ فى الصور وهو إسرافيل ، وثمَّ معقبات تحفظ العبد فى حله وترحاله ، ويقظته ومنامه ، وملائكة موكلة بقبض الأرواح مع ملك الموت ، ومنهم خزنة الجنة ، وخزنة النار ، وحملة العرش وغير ذلك من وظائفهم الكثير فكلهم لا يستطيع

(١) رواه الترمذى ، وابن ماجة ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٤٤٩) .

أن يخرج أبداً عن الوظيفة المحددة التى حددها الله له ، ورغم أنهم لا يعصون الله ، وأنهم لا ينقطعون عن العبادة أبداً فإنهم يخافون عذابه ﴿ **يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ وعبودية الملائكة متصلة دائمة ، وسجودهم لا ينقطع ، وتسبيحهم لا يكف ، ولا يعلم عددهم وتسبيحهم إلا الذى خلقهم عز وجل فالملائكة تحضر مجالس الذكر ، وتبحث عن حلقات الذكر لتحفها بأجنحته ، فتأمل أيها الكريم هذا الكون من حولك تجده مشحوناً بطاعة الله فى كل ناحية تسمع التسبيح لله ، وفى كل مكان تجد الذكر لله إلا من كفرة الإنس والجن . إن ذلك يملأ القلب بعظمة الرب العظيم الجليل الكبير سبحانه وتعالى .

* * * * *

تاسع عشر: الجن

وسميت الجن جناً لاستتارها عن الرؤية ، وكذلك سميت الجنة جنة ؛ لاستتارها عن العيون فى الدنيا ، وسمى الجنون جنوناً ؛ لأنه يستر العقل ، الجنة بكسر الجيم هى الجن والجنة بفتحها هى الجنات والجنة بضم الجيم هو الجنون وقد تكون بكسر الجيم كذلك ، والجن مكلفون وبطاعة الله مأمورون ، منهم المؤمنون والفاسقون والكافرون قال تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [الذاريات: ٥٦] والجن لما سمعوا القرآن آمنوا به وانطلقوا إلى قومهم منذرين كما قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا * وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً**

وَلاَ وَلَدًا ﴾ [الجن : ١ - ٣] فهذا النفر من الجن أذعنوا لله تعالى بالعبودية وشهدوا بأنه تعالى واحد لا شريك له ، منزه عن كل نقص وعيب وأنه تعالى ليس له صاحبة أو ولد ، بل هو سبحانه الواحد الأحد الفرد الصمد .

وثبت أن النبى ﷺ قرأ على الجن سورة الرحمن فاستمعوها وأنصتوا إليها وتدبروا معانيها فقد روى الترمذى من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا فقال: «**لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردوداً منكم كنت كلما أتيت على قوله ﴿ فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ قالوا: ولا بشئ من نعمك ربنا نكذب فلك**

الحمد»[1] ، وروى أبو جعفر بن جرير عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قرأ سورة الرحمن أو قرئت عنده فقال: مالى أسمع الجن أحسن جوابا لربها منكم؟ قال: ما أتيت على قول الله تعالى ﴿ **فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** ﴾ إلا قالت الجن: لا بشئ من نعم ربنا نكذب[2] وأقرت الجن بقدرة الله التامة عليهم كما قال ربنا عز وجل عنهم ﴿ **وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا** ﴾ [الجن: ١٢] أى نعلم أن قدرة الله حاكمة علينا وأنا لا بعجزه فى الأرض ولو أمعنا فى الهرب فإنه علينا قادر لا يعجزه أحد منا .

وتشهد الجن للمؤذنين بتأذينهم فعن عبد الله بن أبى صعصعة أن أبا سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول

---

(١) رواه الترمذى والحاكم ٢/٤٧٢ ، وصححه الشيخ مصطفى .
(٢) رواه ابن جرير ٢٣/ ٢٣ .

الله قال له : إنى أراك تحب الغنم والبادية فإذا كنت فى غنمك وباديتك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شىء إلا شهد له يوم القيامة . قال أبو سعيد : سمعته من رسول الله ﷺ"(١) .

وسخر الله الجن لنبيه سليمان ، منهم من يعمل فى البناء ، ومنهم من يغوص فى البحار ، وآخرين مقرنين مقيدين فى الأصفاد والأغلال قال الله : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ * وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [ص : ٣٦ - ٣٩] والجن لا يعلمون الغيب ولا قدرة لهم على ذلك

---

(١) رواه البخارى (٣٢٩٦) .

لأنه لا يعلم الغيب ملك مقرب ولا نبى مرسل قال تعالى: ﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ [النمل: ٦٥] وهذا هو الدليل من كلام الله عز وجل أن الجن لا يعلمون الغيب قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ [سبأ: ١٤] نعم إن الجن لا يعلمون الغيب ولا يملكون ضراً ولا نفعاً فهم مربوبون مقهورون ، ويا للعجب من جهل كثير من الناس بتلك الحقيقة كأولئك الذين يخافون الجن ويذبحون للجن ، بل ويعوذون بالجن وما أشبه فعل أولئك بفعل أهل الجاهلية من العرب قبل إشراق فجر الإسلام ، فقد كان أحدهم إذا نزل بمكان مخيف يقول: أعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه أن أضر فيه يعنى سيد هذا

الوادى من الجن قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن: ٦] قال السدى: كان الرجل يخرج بأهله فيأتى الأرض فينزلها فيقول: أعوذ بسيد هذا الوادى من الجن أن أضر أنا فيه أو مالى أو ولدى أو ماشيتى ، وروى ابن أبى حاتم عن عكرمة قال: كان الجن يفرقون من الإنس كما يفرق الإنس منهم أو أشد ، فكان الإنس إذا نزلوا وادياً هرب الجن فيقول سيد القوم: نعوذ بسيد أهل هذا الوادى ، فقال الجن: نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم فدنوا من الإنس فأصابوهم بالخبل والجنون لذلك قال تعالى: ﴿ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ أى إثماً ، قال قتادة وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة ، لذلك علمنا النبى ﷺ دعاء إذا نزل أحدنا منزلاً ، فعن خولة بنت حكيم السلمية رضى الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إذا نـزل أحدكـم منـزلاً فليقل: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق ؛ فإنه لا يضره شئ حتى يرتحل منه» [1] .

وإنما نبهنا على عبودية الجن ؛ لأن كثير من الناس يرهبون الجن ، بل ويذهبون إلى السحرة والعرافين والدجالين يلتمسون عندهم دواء ويرجون عندهم شفاء ويصدق أحدهم أن هذا الأثيم الفاجر يعلم الغيب أو يملك النفع والضر ، بل والله قد رأى بعض إخواننا أستاذاً فى الجامعة يأتى دجالاً ويقدم له القرابين والهدايا ورغم أنه نصح مراراً فكان يقول أنا أعلم ما تقولون لكن . . ماذا؟ لكن قلبه معلق بهذا الكاهن وضعف اليقين

---

(١) رواه مسلم (٢٧٠٨) ، والترمذى (٣٤٣٧) ، وغيرهما قال النووى : كلمات الله التامات معناه الكاملات التى لا يدخل فيها نقص ولا عيب ، وقيل النافعة الشافية ، وقيل المراد بالكلمات هنا القرآن الكريم ، والله أعلم .

بالله فى قلبه ، بل إن شئت فقل انعدمت الثقة بالله من قلبه فسبحان الله ما المشكلة أن تصاب بمرض فتصبر عليه لتجد حلاوة هذا الصبر فى الآخرة لماذا نجزع ونحرص على إزالة البلاء بأى ثمن وبأى طريقة حتى وإن كانت تغضب الله عز وجل؟! إن الذى ابتلاك بها البلاء هو الله أم تشك فى ذلك؟! والله وحده هو الذى يكشف الضر والبلواء ، الله وحده هو الذى يكشف هم المهمومين ، وكرب المكروبين ويجيب دعاء المضطرين ، فقد يبتلى المرء ليرى منه الدعاء والإنابة والذل له وحده والانكسار له وحده ، فيا حسرة إنسان يعرض عن ربه ويذهب إلى وضيع حقير دجال أثيم يطلب عنده الشفاء!!

إن النبى ﷺ يقول: «**من أتى عرافاً فسأله عن شئ لم**

تقبل لله صلاة أربعين يوماً» [1] بل إنه ﷺ يقول: **«من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»** [2] فمن ذا الذى يرضى لنفسه أن يقع تحت هذا الحديث أو ذاك .

إن ضعف الإيمان هو الذى يقود المرء إلى مهاوى هذا الخبث ولا يزداد من الله إلا بعداً ولا يزداد فى دنياه إلا شقاء وغماً فإذا وثق المرء بربه وتوكل عليه وحده فى دفع الضر والبلاء وتوجه إليه بالدعاء فإن الله يجيب دعاءه ويكشف همه ويزداد من الله قرباً وترتفع مكانته وفى جنة الله بازدياد أجره ودعائه وصبره .

* * * * *

---

(١) رواه مسلم ٢٢٣٠ .

(٢) رواه أحمد ، الحاكم ، وصححه على شرط الشيخين والبيهقى ٨/ ١٣٥ وصححه العراقى والذهبى والمناوى ، والألبانى فى صحيح الجامع ٥٩٣٩ وغيره .

عشرون : عبودية الشيطان لله

أيها الأخوة ، إن أضل الخلق ، وأكفر الخلق ، وطاغوت كل عصر ، ذلكم الشيطان الرجيم رأس الكفر ، والداعي إلى كل سوء ، الداعي إلى الكفر بالله وإلى كل رذيلة ، هذا الشيطان الرجيم الطريد المريد اللعين يذعن بالعبودية لرب العالمين ويتوجه إلى الله بالدعاء ، بل ويستجيب الله دعاءه قال تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَى يَومِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** ﴾ [الحجر: ٣٩ - ٤٠] اللهم اجعلنا من المخلصين ، ونعوذ بك ربنا من همزات الشياطين .

نعم إخوتاه: إن إبليس دعا الله أن ينظره ، وأن يؤخره

ويمهله ؛ فأنظره الله عز وجل ؛ ليزداد إثماً إلى إثمه وكفراً إلى كفره ؛ وليقود حزب الإجرام والطغيان إلى نار الجحيم وبئس المصير أعاذنا الله من شره .

ويبكى الشيطان إذا سجد المسلم لله عز وجل كما عند مسلم من حديث أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : «**إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى يقول: يا ويله أمر! بالسجود فسجد فله الجنة ، وأمرت بالسجود فعصيت فلى النار**»[1] .

ويفزع الشيطان هارباً عند سماع الأذان والإقامة كما فى الصحيحين من حديث أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : «**إذا نودى بالصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضى الأذان أقبل، فإذا ثوّب أدبر،**

(١) رواه مسلم ١٣٣ .

فإذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه يقول اذكر كذا وكذا واذكر كذا ما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل ما يدرى كم صلى»[1] .

وهذا الشيطان من الجن كما هو الراجح من أقوال أهل العلم لقول الله تعالى: ﴿ **فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ** ﴾ [الكهف: ٥٠] وهو يوسوس للإنسان ويريد أن يغويه ، هذه وظيفته وعمله الذى يسعى من أجله ليلاً ونهاراً إنه يضل ويغوى لذلك قال الله تبارك وتعالى: ﴿ **وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [فصلت: ٣٦] إن الشيطان يريد إهلاكك وتدميرك وإضلالك ، ولا يصده ولا يرده عنك إلا استعاذتك بالله عز وجل ، فإذا

---

(١) رواه مسلم ٣٨٩ .

استعذت بالله والتجأت إليه رد كيده عنك وقد كان النبى ﷺ إذا قام إلى الصلاة يقول: «**أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه**»[1].

وأخبرنا ربنا - تبارك وتعالى - أن الشيطان ليس له سلطان على المؤمنين فقال تعالى: ﴿ **إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾.

ورد عن بعض السلف أنهم قالوا: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم إذا غفل وسوس وإذا ذكر الله خنس.

فاحذر سبيل الشيطان ووساوسه ؛ فهو قد يضلك عن طريق شبهة أو شهوة ، وإذا أذنبت فسارع بالتوبة إلى الله عز وجل ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ * وَإِخْوَانُهُمْ**

(١) رواه أبو داود ، والترمذى ، وصححه الألبانى فى الإرواء ٣٤٢.

يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١]

اعتصم بالله يعصمك ، واحفظه يحفظك ، وتوكل عليه يسددك ، واستعذ به يعذك ، واطلب جنته ورضوانه بعملك ، وأخلص العبودية له تعش جنة الدنيا قبل جنة الآخرة .

* * * * *

حادى وعشرون : فرعون

هذا الطاغية الذليل الذى قال كلمة ما نعلم أحداً فى الخلق قالها غيره ؛ فقد طغا وعتا وتجبر وتكبر وقال : أنا ربكم الأعلى ، قال ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ هذا الطاغوت المتمرد كان يوقن فى باطنه أن الله عز وجل هو الذى خلقه ، وأنه تعالى رب السموات والأرض حيث قال له موسى ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَونُ مَثْبُورًا ﴾ [الإسراء : ١٠٢]

وعندما أدركه الغرق ، وحل به الكرب ، ونزل به العذاب أطلقها صريحة فصيحة ، لكن متى؟ إنه نطق بالتوحيد ، لكن بعد فوات الأوان وندم فى وقت لا ينفع فيه الندم ، فقد جاءه بأس الله الذى لا يرد عن القوم

المجرمين قال الله تعالى : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ولكن الجواب جاءه فى هذه اللحظة كالصفعة القوية ﴿ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ [يونس: ٩١ - ٩٢] فالكبرياء رداء الله ، والعز إزاره فمن ذا الذى ينازع الكبير جلا وعلا كبرياءه؟! كل من تجبر وتكبر أذله الله وأخزاه ولا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر ، فلماذا يتكبر الإنسان الضعيف المسكين وأوله نطفة قذرة ، وآخره جيفة قذرة وهو بينهما يحمل العذرة؟! .

ألا فلتخشع القلوب لربها ، ولترتجف الأفئدة ، ولتقشعر الأبدان ، ولتذرف العيون دموعها مدرارة تواضعاً وذلاً وخضوعاً وانكساراً للجبار السماوات والأرض الذى له كل العزة والجبروت والملك والملكوت سبحانه وتعالى عز وجل .

إن هذا الإعلان بالعبودية من لسان فرعون يصفع كل طاغية متأله ، ويصدع كبر كل قزم متكبر ، ويذل أنف العتاة الظلمة المتمردين نسأل الله أن يهلكهم أجمعين .

* * * * *

ثاني وعشرون : المخلوقات كلها

إن هذا الكون كله من حولنا ، ومن فوقنا ، ومن تحتنا يشهد بالوحدانية للذى خلقه وفطره ويسجد لربه ويخشع لخالقه ، ويسبح بحمد من يقول للشئ كن فيكون ، إن كل المخلوقات ، وكل الكائنات متحركة وساكنة عاقلة وغير عاقلة ، كلها تسبح بحمد لله عز وجل قال تعالى : **﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾** [الحشر : ١] قال تعالى : **﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾** [الجمعة : ١] وقال تعالى : **﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾** [الزمر : ٧٥] قال ابن كثير: "أى نطق الكون أجمعه ناطقه وبهيمه لله رب العالمين بالحمد فى حكمه وعدله ، ولهذا لم

يسند القول إلى قائل بل أطلقه فدل على أن جميع المخلوقات شهدت له بالحمد" وقال تعالى: ﴿ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ .

ويسجد لله كل من فى السموات ومن فى الأرض حيث قال تعالى: ﴿ وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ وكذا قال تعالى: ﴿ وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ ﴾ [النحل: ٤٩] ويذعن كل من فى السموات والأرض بالعبودية لله جل جلاله قال تعالى: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ [مريم: ٩٣]. وقال سبحانه: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ

يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران : ٨٣] .

وقال رسول الله ﷺ : «**إنه ليس من شيء بين السماوات والأرض إلا يعلم أني رسول الله إلا عاصي الجن والإنس**» (١) .

والله لو أذن الله لهذه الكائنات أن تسمعنا تسبيحها ؛ لانصدعت القلوب روعة وجلالاً مما تسمع ، لخرَّت القلوب والأرواح والأبدان ساجدة لربها سجدة لا تبغي لها انتهاء ولا انقضاء ، ولا تبغي عنها حولاً ولا ترضى بغيرها بدلاً . إن كل ما حولنا يذكرنا بحقيقة كبرى وهي أن كل شئ في الوجود يشهد بوحدانية العزيز الحميد . فإذا كان هو وحده الذي يخلق ، وهو وحده الذي يرزق ، وهو وحده الذي يعلم السر وأخفى ، وهو

---

(١) رواه أحمد وأبو داود ، والضياء وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٤٠٩ .

وحده الذى أوجد كل موجود فكيف يُحمد ويشكر غير الله أكثر من الله؟ كيف يُتجه إلى الأضرحة والقبور بالدعاء والاستغاثة؟! كيف لغير كتاب الله أن يحكم؟! كيف للقلوب أن تعظم مخلوقاً ضعيفاً حقيراً أكثر من تعظيمها للذى فطرها؟! كيف للقلوب أن ترجو من غير الله رزقاً أو تسأل منه نفعاً؟! فتش أيها المسلم فى قلبك ، وانظر من هو أعظم شئ وأجل شئ وأكبر شئ فى قلبك؟! حياتك وعمرك فيما تنفقها فى مرضاته وطلب جنته أم فى طلب الدنيا والتنافس عليها؟! كم مرة ضحيت فيها من أجله وبذلت لدينه؟! وما حجم هذه التضحية بجوار حجم حبك له أليس لكل حب دليلاً فأين دليل حبك لله ولدين الله؟! .

* * * * *

ذلكم الله ربكم فاعبدوه

أحبتى ، إخوتى : بعد ما ذكرنا هذه الأدلة المختصرة على عبودية كل الكائنات لرب الأرض والسموات دعونا نقف لنتساءل : ألا يستحق هذا الرب العظيم أن نعبده ونمجده ونصرف أوقاتنا فى طاعته؟! ألا يستحق ربنا الذى فطرنا ويملك نواصينا يرزقنا ويدفع عنا الضر والبلوى ، ألا يستحق سبحانه أن نمرغ له الوجوه ، وأن نذل له الجباه وأن نحنى له عز وجل الرءوس؟!

ألا يستحق الملك الجبار القهار العزيز الحكيم أن نخافه أكثر من أى شئ وأن يرى ربُّنا ذلك من قلوبنا؟! أننا لا نرهب سواه ، ولا نخشى غيره ، ولا نتوكل إلا عليه ، ولا نستسلم ونخضع إلا له؟!

ألا يستحق الرحيم الودود الرءوف اللطيف أن نحبه

أكثر من النفس والمال والولد؟! ألا يستحق ربنا الذى أسبل وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة ، ألا يستحق أن نبذل له كل الحب من قلوبنا ونتقرب إليه بكل جوارحنا ، وأن نقدم حبه على حب كل أحد ، وأن نقدم أمره على أمر كل أحد؟! والله ثم والله لو عرفت ربك حقاً ؛ لازددت له فى كل لحظة حباً .

أيها الأخوة ، ألا يستحق الملك الوهاب الغنى الكريم الرزاق أن نرجوه وحده ، وأن نثق به كل الثقة وحده ، وأن نرفع إليه الدعاء وحده ، وأن نطلب منه الرزق وحده؟!

نعم إخوتاه : إن حقيقة العبودية أن يتعلق قلبك برب البرية ففى كل موقف يمر بك تجد قلبك يتوجه إليه عز وجل ، فإذا أصابك بلاء توجه بقلبك إليه وحده

لكشفه ، وإذا أصابك مرض دعوت الله الشافى وحده أن يشفيك ، وإذا احتجت إلى مال أو إلى وظيفة دعوت ربك الرزاق الغنى وحده أن يرزقك ثم تأخذ بالأسباب وتبحث ، إذا كنت تريد أن تحصل درجة علمية أو أن تحفظ القرآن ؛ فاسأل ربك ليمن عليك بذلك ، وإذا خلوت فى مكان وحدك ؛ فاعلم أن الله رقيب عليك ، شهيد عليك ناظر إليك ، محيطٌ بك ، عليمٌ بما تكن وما تُظهر .

وإذا خلوت بريبة فى ظلمة

والنفس داعية إلى الطغيان

فاستحى من نظر الإله وقل لها

إن الذى خلق الظلام يرانى

وإذا دعتك نفسك إلى نظرة خائنة إلى متبرجة فى

الشارع ، أو في مجلة فاجرة قذرة ، أو تلفاز ، أو فيديو ؛ فاعلم أن نظر الله إليك أسبق وأنه يراك حتى ولو غفل كل الناس عنك .

إذا دعتك نفسك لأخذ رشوة أو غصب حق من مسلم أو ظلم لضعيف ؛ فاعلم أن الله عليك أقدر وأنه لو شاء ؛ لأنزل بك بأسه فى الحال .

وإذا جلست مجلساً فانشر عبير حبك لله ، وابذل النصح لإخوانك ، وأكثر من ذكر ربك .

نعم ، أحبتى : ليست العبادة مقتصرة على ركوع وسجود فحسب بل العبادة هى طاعة الله فى كل ما أمر به والبعد عن كل ما نهى عنه ، ومن أقوال العلماء فى شرح معنى العبادة ما قاله ابن كثير عليه رحمة الله قال : وعبادته هى طاعته بفعل المأمور وترك المحظور وذلك هو

حقيقة دين الإسلام ؛ لأن معنى الإسلام الاستسلام لله تعالى المتضمن غاية الانقياد والذل والخضوع .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : العبادة هى طاعة الله بامتثال ما أمر به على ألسنة الرسل ، وقال أيضاً : العبادة هى اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، وقال أيضاً : العبادة هى كمال الذل مع كمال الحب لله عز وجل . وهذه العبادة - أيها الإخوة - منها ما هو عبادة قلبية أو قولية أو بدنية أو مالية .

فمن العبادات القلبية الحب قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّه** ﴾ [البقرة : ١٦٥] ، وقال النبى ﷺ : «**ثـلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله**

ورسـوله أحـب إليه مما سواهما»[1] ومنها الخوف قال تعالى: ﴿ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٥] وقال تعالى: ﴿ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٩] فزوال الخوف من القلب يستلزم الأمن من مكر الله وهذا لا يكون من مؤمن أبداً .

ومن العادات القلبية الإخلاص: وهى أن تعمل العمل تبتغى به رضا الله وحده قال تعالى: ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴾ [الزمر: ٢] وقال النبى ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات»[2] ولا يقبل الله من العبد عمله إلا إذا كان خالصاً له ، فكل عمل لم يتحقق فيه الإخلاص فهو باطلٌ باطلٌ ، لا يقبله الله تعالى نسأل الله أن يرزقنا الإخلاص فى القول والعمل .

---

(١) رواه البخارى١٦ ، ومسلم٤٣ .
(٢) البخارى ، مسلم١٩٠٧ .

ومن العبادات القلبية التوكل وهو ثقة القلب واعتماده على الله وحده مع الأخذ بالأسباب المشروعة وأن يعلم أن الأمر كله لله وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن قال تعالى: ﴿ **وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾[المائدة: ٢٣] وقال سبحانه: ﴿ **وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ** ﴾ [الفرقان: ٥٨].

وغيرها كثير، وأما من العبادات القولية فمنها: الذكر قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا** ﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٢]، وفي الحديث القدسي: «**أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم**»[1] وذكر الله

---

(١) رواه البخارى٧٤٠٥، مسلم٢٦٧٥.

يكون بالقلب واللسان معاً .

ومن العبادات القولية الدعاء والاستغفار والاستغاثة :
قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦] وقال ﷺ : «الدعاء هو العبادة»[1] وقال تعالى : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [نوح : ١٠] وقال تعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل : ٦٢] ومنها تلاوة القرآن قال تعالى : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ [المزمل : ٤] وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾ [فاطر : ٢٩] وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو :

(١) رواه أحمد ، الحاكم ، وصححه الألباني في صحيح الجامع : ٣٤٠٧ .

«اقرأ القرآن فى كل شهر..... »[1] .

ومنها الاستعاذة: قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] ومنها الحلف: قال ﷺ: «**من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت**»[2] وقال ﷺ: «**من حلف بغير فقد أشرك**»[3] وقال ﷺ: «**من حلف فقال فى حلفه: واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله**»[4] . ومن العبادات القولية: الدعوة إلى الله ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣] والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قال ﷺ: «**لتأمرن**

---

(١) رواه البخارى٢٠٥٢ ، مسلم١١٩٥ .
(٢) رواه البخارى ٦٦٤٦ ، مسلم ١٦٤٦ .
(٣) رواه الترمذى ، وأبو داود ، وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود ٢٧٨٧ .
(٤) رواه البخارى ٦٦٥٠ ، مسلم ١٦٤٧ .

بالمعـــروف ولتنهن عن المنكر أو ليوشكن الله أن يعمكم بعقاب منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم»[1] ومنها كف اللسان عن المحرمات كالغيبة والنميمة والكذب وشهادة الزور والاستهزاء وغير ذلك قال تعالى: ﴿ **مَا يَلْفِظُ من قَــوْلٍ إلاَّ لَدَيْه رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ [ق:] وقال تعالى: ﴿ **وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ به علْمٌ إنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** ﴾ [الإسراء: ٣٦].

ومنها عبادات مالية: كإيتاء الزكاة المفروضة، والتصدق على الفقراء والمساكين وكفارة اليمين، والنذر بالمال، والجهاد بالمال، والنفقة على الأهل والأقارب، وغير ذلك، ومنها عبادات بدنية كالحج والصلاة وصلة الرحم وأكل الحلال والمشي إلى المساجد، وزيارة الإخوة

---

(١) صححه الألباني في صحيح الجامع.

فى الله ، والسعى فى حوائج المسلمين وكف النفس عن المنكرات ، وكلها عبادات بدنية وقلبية والأمثلة على العبادات كثيرة يصعب حصرها هنا ، والله المستعان وهذا ما أردت بيانه أن العبادة لله تنتظم فعل كل معروف وترك كل منكر ابتغاء وجه الله جل جلاله .

العبادة أن تكون حركاتك وسكناتك لله ، وأن تكون حياتك كلها لله قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [الأنعام: ١٦١ - ١٦٢].

فهل أنت - أيها الحبيب - تعيش لله ، وتعمل لطلب رضا الله ، وتبحث عما يرضيه عز وجل فتعمله ، وتجاهد فى سبيل الله بلسانك ويدك ومالك ونفسك أم

أنك تبخل على ربك بالصلاة فى جماعة؟! أيها الكريم: الجأ إلى ربك ، وفر إليه ، وأكثر من ذكره ودعائه وتعوذ بالله من شياطين الإنس والجن ، واعمل فى الدنيا صالحاً فإنها دار العمل ، وغداً تنتقل إلى دار الجزاء فإما إلى جنة وإما إلى نار ، اغتنم فرصة بقائك فى هذه الحياة ، واملأ وقتك وعمرك بكل ما يرضى الله واستحضر النية عند كل عمل واصبر نفسك على طاعة الله قليلاً تسترح فى جنة الله طويلاً ، وتجد قرة عينك ولذة نفسك فى جنة الله يوم نلقاه إخواناً على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين" .

ونسأل الله جل جلاله أن ينفع بما قلنا وكتبنا ، وأن يجعله حجة لنا لا علينا وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وهو حسبنا ونعم الوكيل ونعوذ بالله أن يكون حظنا من

دينـنا قولـنا ، رب ثبـت قلوبـنا عـلى ديـنك ، وارزقـنا لذة الـنظر إلى وجهك الكريم وسبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك .

والحمد لله رب العالمين ،

* * * * *

أهم المراجع

١- تفسير ابن كثير .

٢- تفسير السعدى .

٣- فتح البارى مع صحيح البخارى .

٤- شرح النووى على مسلم .

٥- كتب الشيخ الألبانى .

٦- التسهيل للشيخ مصطفى بن العدوى .

٧- فضل الغنى الحميد للشيخ ياسر برهامى .

٨- فقه السيرة للغزالى تحقيق الألبانى .

٩- الثمرات الزكية للشيخ أحمد فريد .

١٠- معجزات الرسول للشيخ مصطفى العدوى .

١١- وما قدروا الله حق قدره للمؤلف .

١٢-وقفات تربوية للشيخ أحمد فريد .

١٣-رياض الصالحين للإمام النووى .

١٤-الوجيز للشيخ عبد العظيم بدوى .

١٥-المعجم الوسيط .

١٦-مختصر الكبائر للذهبى .

١٧-فتح المجيد للشيخ عبد الرحمن حسن آل شيخ .

١٨-حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم .

* * * * *

الفهرس

* * * * *